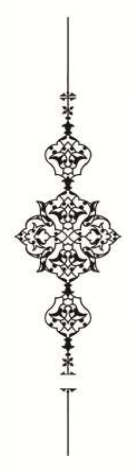

حواريو أمير
المؤمنين عليه
السلام

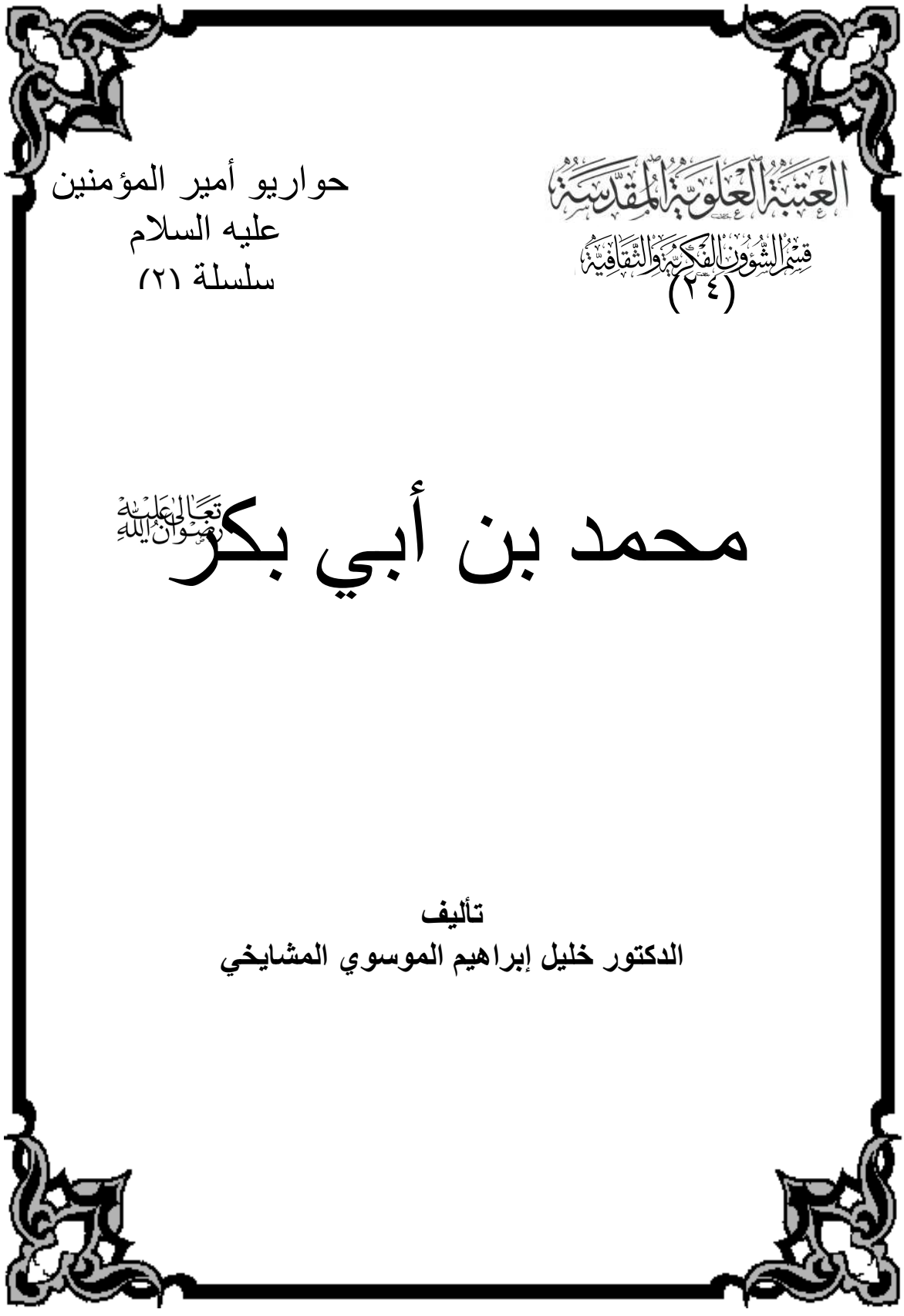

العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
(٢٤)

حواريو أمير المؤمنين
عليه السلام
سلسلة (٢)

محمد بن أبي بكر رضوان الله تعالى عليه

تأليف
الدكتور خليل إبراهيم الموسوي المشايخي

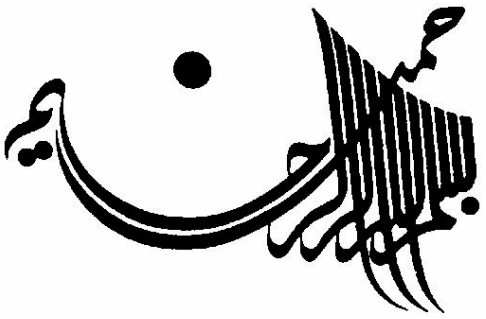

www.imamali-a.com
info@imamali-a.com

- محمد بن أبي بكر (رضوان الله تعالى عليه)
- المؤلف: الدكتور خليل إبراهيم جميل الموسوي المشايخي.
- الناشر: العتبة العلوية المقدسة ـ قسم الشؤون الفكرية والثقافية.
- التنضيد والإخراج الفني: عبد الحسن هادي الشافعي.
- الطبعة: الأولى.
- محل وتاريخ الطبع: النجف الأشرف، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م
- رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ( ) لسنة ٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

[اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ].

قال تعالى: [يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا علي أنت وشيعتك في الجنة).

(المسترشد، محمد بن جرير الطبري: ٤٠١).

قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:
(كان لي ربيباً، وكان لبنيَ أخاً، وكنت له والداً أعده ولداً).

(مروج الذهب، المسعودي: ٤٢٠/٢، الكامل، لابن الأثير: ١٨٠/٣).

(لا يضل من اتبعنا، ولا يهتدي من أنكرنا، ولا ينجو من أعان علينا عدوّنا).

(تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله الحراني: ١٤٥).

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:
(كان عمار بن ياسر، ومحمد بن أبي بكر، لا يرضيان أن يعصى الله في الأرض).

(رجال الكشي: ١٣٦٠).

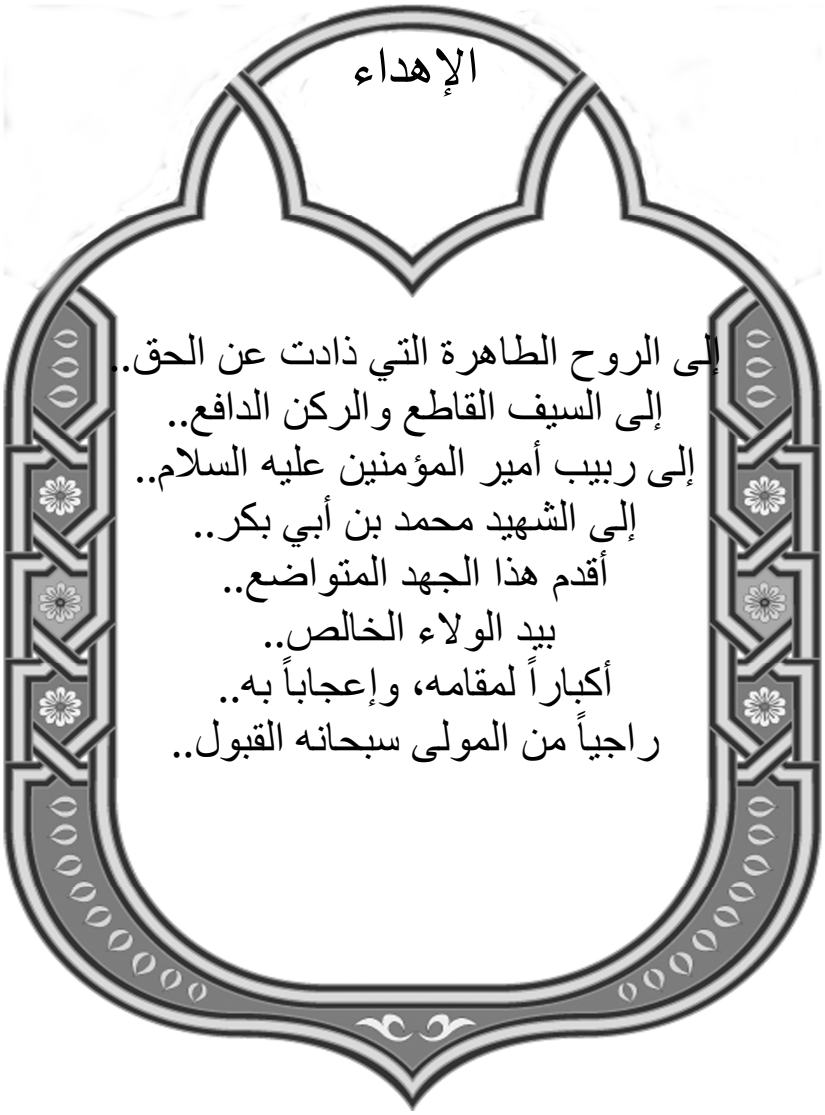
الإهداء
إلى الروح الطاهرة التي ذادت عن الحق..
إلى السيف القاطع والركن الدافع..
إلى ربيب أمير المؤمنين عليه السلام..
إلى الشهيد محمد بن أبي بكر..
أقدم هذا الجهد المتواضع..
بيد الولاء الخالص..
أكباراً لمقامه، وإعجاباً به..
راجياً من المولى سبحانه القبول..

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة على رسول الله الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

ها نحن اليوم مع شخصية أخرى وحواري آخر من حواريي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو محمد بن أبي بكر ربيب علي عليه السلام ، الذي أدبه بأدبه وفقهه من فقهه، وكان لا يعرف أبا غيره حتى قال عنه عليه السلام : "محمد ابني من صلب أبي بكر".

فكان رجلا ذاب بحب أسد الله الغالب عليه السلام، وبطلا من الأبطال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فضحوا بالغالي والنفيس لنصرة المذهب بل نصرة الإسلام عموما. حتى أستشهد دون ذلك وما بدل تبديلا..

و لما سمع امير المؤمنين عليه السلام بقتل محمد حزن عليه حتى بان الحزن في وجهه، وقيل لأمير المؤمنين لقد جزعت على محمد بن أبي بكر جزعاً شديداً فأجاب وما يمنعني أنه كان لي ربيباً، وكان لبنيّ أخاً وكنت له والداً أعده ولدا.

والمؤلم أن هذه الشخصية الجليلة قد تناساها أكثر المؤرخين و تجاهلته كتب التراجم، رغم كونه من أجلاء حواري أمير المؤمنين عليه السلام وطليعة التابعين، والشهداء الصديقين .. عبّد بروحه الطاهرة ودمه الزاكي طريق الإسلام الحق طريقاً لم تستطع الدنيا مهما بلغت من قوة وجبروت أن تمحوه أو تحرفه عن مساره لأنَّ ما أسس على حق وعدل يبقى خالداً أبداً.

من هنا انبرى أحد خدام الأمير من العاملين في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة، لتسليط الضوء عليه من خلال البحث والتمحيص للروايات التي ذكرت عنه وجعلها موضع النقد البنّاء النزيه.

وليكمل بذلك الحلقة الثانية في سلسلة حواريو أمير المؤمنين عليه السلام الذي كنا قد أبتدأناه بخريج آخر من مدرسة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ومدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ألا وهو الصحابي الجليل(أويس القرني).

نسأل الله تعالى التوفيق إنه نعم المولي ونعم النصير.

قسم

الشؤون الفكرية والثقافية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين ..

نكتب هذا المصنف عرفاناً منا بفضل خريجي مدرسة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الذين قدموا أنفسهم، وما يملكون من غالٍ ونفيس، قرابين على مذبح الحرية والعقيدة، والدين والولاء الصادق للرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

لقد استطاع أولاد بنت رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله أن يكملوا مسيرة جدهم الأعظم صلى الله عليه وآله في تثبيت دعائم الدين الحنيف، وترسيخ شريعة السماء، بسِيرهِم المشرّفة ــ قولاً وعملاً ــ وجاهدوا على فضح أساليب الطامعين في الحكم، والمنافقين في الدين، وكشفوا حقيقتهم الكافرة الحاقدة، وفسقهم وفجورهم، وسعيهم إلى تقويض أركان الإسلام.

فالتف حول رسول الله صلى الله عليه وآله أناس صالحون ابتغوا مرضاة الله تعالى ورسوله الأكرم صلى الله عليه وآله واشتروا أنفسهم بأيمانهم بالله سبحانه وبرسوله صلى الله عليه وآله وآل بيته الطيبين الأطهار عليهم السلام .. فحاولنا جاهدين بالاستعانة بالله عز وجل والاتكال عليه، أن نستمد العون والتسديد لنترجم بكل أمانة ودقة لبعض هؤلاء الذين وفقنا الله تعالى للكتابة عنهم، فاخترت أولاً أويس القرني، وكتبت عنه، ثم محمد بن أبي بكر الذي سأكتب دراسة نقدية عن حياته، محاولاً أن أضع الروايات التي ذكرت عنه موضع النقد البناء النزيه ما أمكنني الله تعالى من ذلك، لا أخشى في قول الحق لومة لائم.

لقد رسخ محمد بن أبي بكر وأصحابه دعائم الإسلام والحق وكشفوا بوجودهم والتفافهم حول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام زيف المنافقين وكفرهم وحقدهم على الإسلام ورسوله صلى الله عليه وآله وآل بيته الطاهرين عليهم السلام.

ومحمد بن أبي بكر مثال آخر وشهيد آخر تقتله الفئة الباغية وتستمر قافلة شهداء الحق والفضيلة فكان برهاناً ساطعاً دامغاً بوقوفه مع أمير المؤمنين عليه السلام.

اخترت هذا الإنسان المؤمن المجاهد الحق الذي وعى تصريح رسول الله صلى الله عليه وآله، وحفظ وفهم واستوعب الآيات الكريمات التي أنزلها الله تعالى بحق أمير المؤمنين علي وآل بيته عليه السلام، كآية المباهلة، وآية التطهير، و(هل أتى) إضافة إلى أحاديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الكثيرة، وتصريحه بولاية العهد لأخيه وابن عمه علي عليه السلام لاسيما في غدير خم.

لقد وعى هذا المجاهد (رضوان الله تعالى عليه) ما قاله تعالى في محكم كتابه بحق آل رسول الله صلى الله عليه وآله مثله مثل الصحابة المؤمنين الأبرار المنتجبين الذين التفوا حول وصي رسول الله صلى الله عليه وآله، كعمار بن ياسر، والمقداد، وأبي ذر، وابن تيهان، وغيرهم الذين أطلق عليهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بشيعة علي، كما ذكر ذلك رسول الله نفسه صلى الله عليه وآله في مناسبات عدة، من ذلك قوله مشيراً إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (هذا وشيعته هم الفائزون).

نسأل الله سبحانه وتعالى حسن التوفيق إنّه نعم الولي ونعم النصير..

السيد خليل إبراهيم
المشايخي
العتبة العلوية المقدسة
النجف الأشرف
١٥/شعبان/١٤٣٠هـ

الفصل الأول

المبحث الأول:

- اسمه وولادته.
- نشأته.
- صفاته.
- أمه.

المبحث الثاني:

- موقفه من والده.
- علاقته بأخته عائشة.

المبحث الأول

اسمه وولادته:

هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عثمان[١] بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب[٢].

ولد في طريق المدينة إلى مكة في حجة الوداع، كما ثبت عند مسلم في حديث جابر الطويل[٣]، بذي الحُليفة، لخمس بقين من ذي القعدة في السنة العاشرة هجرية، وذكر أنه ولد بالشجرة وهي البيداء مع رسول الله صلى الله عليه وآله[٤]، بعد أن خرج الرسول صلى الله عليه وآله لخمس بقين من ذي القعدة بعد أن مكث في المدينة تسع سنين لم يحج.

وكانت أمه أسماء مع من خرج، وما إنْ أتوا ذا الحُليفة نفست أسماء بنت عميس لمحمد بن أبي بكر[٥].

وهو جدُّ الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام من الأمهات .. لم يدرك من حياة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلا أشهراً قليلة من ذي القعدة إلى أول شهر ربيع الأول[٦].

وقد توفي سنة ٣٨هـ (٦٥٨م) في مصر.

عدَّ بعض المؤرخين محمد بن أبي بكر من الصحابة، مع انه ولد في حجة الوداع آخر ذي القعدة قبل وصول النبي صلى الله عليه وآله إلى مكة في السنة العاشرة من الهجرة وقبل وفاته بثلاثة أشهر، وتتفاوت درجات الصحابة عندهم فقد نص بعضهم أنهم اثنا عشر طبقة أعلاها السابقون إلى الإسلام من الطبقة الأولى، وأدناها الذين أدركوه في حجة الوداع لا غير[٧].

---

١ . معجم الصحابة، الكاندهلوي: ٤٥٩١/١٣، مراقد المعارف، محمد حرز الدين: ٢٤٤/٢، الأعلام للزركلي: ١٢٩/٦.

٢ . ولاة مصر: ٣٠، الكامل لابن الأثير: ١٨٠/٣.

٣ . معجم الصحابة: ٤٥٩١/١٣، مروج الذهب، المسعودي: ٣٢٠/٢.

٤ . تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار، البتي: ٢٢٩.

٥ . حياة الصحابة: ١٨٥/٣.

٦ . منهاج السنة النبوية: ١٥١/٦- ١٥٢.

٧ . دراسات في الحديث والمحدثين، هاشم معروف الحسيني: ٦٨.

نشأته:

نشأ محمد بن أبي بكر في حجر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة والده أبي بكر، وزواج الإمام علي عليه السلام من أسماء بنت عميس[١].

وقد سهر أمير المؤمنين علي عليه السلام على تربيته فرباه أحسن تربية وكان يعده واحداً من أولاده، فلا يفرق بينه وبين أولاده، وهذا ما كان يشعر به محمد ويحسه، وقال ابن عبد البر: (كان علي يثني عليه ويفضله)[٢].

وتولى أمير المؤمنين تربيته، وأدبه بأدبه وفقهه من فقهه، وكان لا يعرف أباً غير علي عليه السلام، حتى قال الإمام علي عليه السلام: (محمد ابني من صلب أبي بكر) [٣].

لقد كان محمد بن أبي بكر حبيباً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رباه في حجره صغيراً حين تزوج أمه أسماء بنت عميس[٤].

ولهذا حينما استشهد جزع أمير المؤمنين علي عليه السلام عليه، فقال قوم له عليه السلام: لقد جزعت على محمد بن أبي بكر جزعاً شديداً؟!

فأجاب: وما يمنعني؟ أنه كان لي ربيباً، وكان لبنيِّ أخاً، وكنت له والداً أعده ولداً[٥].

كان محمد أخا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ويحيى بن علي بن أبي طالب من جهة الأم[٦].

نشأ محمد في حجر الإمام علي عليه السلام إلى جانب الحسن والحسين عليهم السلام وامتزجت روحه بمعرفة حب أهل البيت عليهم السلام[١].

---

١ . معجم الصحابة: ٤٥٢١/١٣.
٢ . المصدر نفسه.
٣ . معارف الرجال: ٢٤٦/٢.
٤ . المصدر نفسه.
٥ . المصدر نفسه.
٦ . أسد الغابة: ١٩٩/٣، الإصابة: ٣٧/٤، الغارات، أبو إسحاق إبراهيم الكوفي: ٣٨١/٢٤٢.

١ . أنساب الأشراف: ١٧٣/٣.

صفاته:

كان محمد بن أبي بكر من نسّاك قريش المعروفين، وكان صلب الإيمان شجاعاً مقداماً.

وهو أحد المحامدة الأربعة التي تأبى أن تعصى الله عز وجل .. جعله أمير المؤمنين عليه السلام لشجاعته وشدة بأسه على الرجالة في معركة الجمل وقد أبلى بلاءاً حسناً، وفي معركة صفين كان على ميسرة أمير المؤمنين عليه السلام مع محمد بن الحنفية وهاشم المرقال[1].

وقال عنه الكشي: كان نجيباً وقد أتته النجابة من قبل أمه أسماء بنت عميسٌ رحمها الله[2].

وكان مجداً في الجهاد والعبادة، ولجدّه في عبادته سُمي عابد قريش.

---

١ . أنساب الأشراف: ٢٤٦/٢.

٢ . رجال الكشي: ٦١.

أمه:

أسماء بنت عميس الخثعمية، المرأة المؤمنة الصالحة المجاهدة وكانت من المسلمات الأوليات المجاهدات، وهي أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوج الرسول صلى الله عليه وآله من أمها، كما هي شقيقة لبابة بنت الفضل زوج العباس بن عبد المطلب، وأخت سلمى زوج سيد الشهداء الحمزة بن عبد المطلب في أحد، وأخت سلامة الخثعمية، وهن تسع، وقيل عشر أخوات لأم.

وأسماء إحدى اللواتي سماهن الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله الأخوات المؤمنات العشر[١].

هاجرت أسماء بنت عميس مع زوجها الأول جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة قبل الهجرة، فولد له عبد الله ومحمد وعوناً، وقدم بها جعفر (رضوان الله تعالى عليه) وأولاده إلى المدينة أيام فتح خيبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (والله ما أدري بأيها أشد فرحاً بمقدم جعفر أم بفتح خيبر) [٢].

ثم بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله لقتال الروم في مؤتة، فعقد له لواء الجيش، فلما خاض غمار الحرب، وأبلى بلاء حسناً، وكان جعفر (رضوان الله تعالى عليه) حاملاً اللواء، وأثناء المعركة قطعت يمينه فأخذ اللواء بشماله فقطعت، فوقع اللواء على الأرض وسقط جعفر صريعاً شهيداً فسماه الرسول صلى الله عليه وآله وكناه (جعفر الطيار)، وعوضه الله سبحانه بجناحين يطير بهما في الجنة[٣].

وترك جعفر زوجته أسماء وثلاثة أولاد.

وروى ابن سعد في طبقاته وعدد من أصحاب السير أن أبا بكر تزوج أسماء بنت عميس بعد شهادة جعفر الطيار بن أبي طالب، فولدت له محمداً، وذلك في حجة الوداع بذي الحليفة (مسجد الشجرة ميقات أهل المدينة)، وهي خارجة مع زوجها إلى الحج في السنة العاشرة من الهجرة لخمس ليالٍ بقين من ذي الحجة.

---

١ . سلمان الفارسي ومحمد بن أبي بكر، حسين الشكري: ٩٤.
٢ . حياة الصحابة: ١٨٧/٣، ١٨٨.
٣ . سلمان الفارسي ومحمد بن أبي بكر، حسين الشكري: ٩٥.

ثم توفي عنها أبو بكر وترك محمداً طفلاً، فتزوجها بعده الإمام علي عليه السلام، فولدت له يحيى وعوناً.

فعبد الله ومحمد وعون أبناء جعفر الطيار، ومحمد بن أبي بكر وأما يحيى وعون، فأبناء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، كلهم أخوان لأم واحدة[1].

أخرج بن السكن بسند صحيح عن الشعبي قال: تزوج أسماء بنت عميس فتفاخر أبناها محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر فقال كل منهماً: أنا أكرم منك وأبي خير من أبيك فقال لها علي عليه السلام: اقضِ بينهما.

فقَالت: ما رأيت شاباً خيراً من جعفر ولا كهلاً خيراً من أبي بكر، فقال علي عليه السلام: فما أبقيت لنا؟![2].

لم نجد هذه الرواية في المظان المعتبرة، ويبدو أنَها رواية ضعيفة لأن جميع مصادر الفريقين التي ذكرت وتحدثت عن محمد بن أبي بكر، لم تذكر مطلقاً أنه كان يفخر بوالده أو يحبذ الانتساب إليه والتبجح بذلك، وهناك من المصادر من أدعت أنه كان يشتم والده، وقد نظم شعراً في ذلك .. لموقفه من أمير المؤمنين عليعليه السلام.

وقد رباه أمير المؤمنين عليه السلام أحسن تربية وأفضلها حتى أن محمداً كان يعتبره والده حقاً، فلا اعتقد أن محمد بن أبي بكر يتفاخر بأبيه أمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، ثم ليس من خلق أسماء المرأة المؤمنة الصحابية الجليلة تقبل بهذا التفاخر بين ابنيها فذلك من أخلاق الجاهلية، وأيضاً أن الإمام علي عليه السلام لا يمكن بأية حال من الأحوال أن يشجع هذه الصفة ويطلب من زوجه أسماء أن تقضي بين ولديها بما يثير الحفيظة أو الحزازة بينهما.

ويقال أن أسماء لما بلغها أن ولدها محمد قتل بمصر وحرق بالنار في جيفة حمار قامت إلى مسجد بيتها، وكظمت غيظها حتى شخب ثدياها دما[3].

---

١ . سلسلة الأعلام من الصحابة والتابعين، حسين الشكري: ٩٧.

٢ . الإصابة في معرفة الصحابة، ابن حجر: ١٦/٨، رجال حول الرسول صلى الله عليه وآله: ٣٣٢ ـ ٣٣٣.

٣ . رجال ونساء حول الرسول: ٣٣٤، ٣٣٥.

عرّف الإمام الصادق عليه السلام أسماء بنت عميس بـ(النجيبة) وترحم عليها بقوله (رحم الله الأخوات من أهل الجنة) وعد أسماء في قدمتهن[1].

١ . الخصال، الصدوق: ٣٦٣، ثلاث نساء في سماء العقيدة، محمد بحر العلوم: ١١٨.

خبر عن وقعة الجمل:

فجاء محمد بن أبي بكر رضي الله عنه وادخل يده إلى أخته، فقالت له: من هذا المتهجم على حرم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: أنا اقرب الناس إليك، وابغضهم لك، أنا أخوك محمد بعثني إليك أمير المؤمنين، يقول لك، هل أصابك شيء من السلاح؟ ولما رأى أمير المؤمنين عليه السلام جرأة القوم على القتال وصبرهم على الهلاك، نادى أصحاب ميمنته أن يميلوا على ميسرة القوم، ونادى أصحاب ميسرته ان يميلوا على ميمنتهم، ووقف عليه السلام في القلب فما كان بأسرع من ان تضعضع القوم، وأخذت السيوف من هاماتهم مأخذها، فانكشفوا وقد قتل منهم ما لا يحصى كثرة، وأصيب من أصحاب أمير المؤمنين نفر كثير، وأحاطت الازد بالجمل يقدمهم كعب بن سور، وخطام الجمل بيده، واجتمع إليه من كان أنفل بالهزيمة ونادت عائشة: يا بني الكرة الكرة! اصبروا فإني ضامنة لكم الجنة، فحفوا بها من كل جانب واستقدموا بردة كانت معها، وقلبت يمينها على منكبها الأيمن إلى الأيسر، والأيسر إلى الأيمن، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصنع عند الاستسقاء، ثم قالت: ناولوني كفا من تراب، فناولوها، فحثت به وجوه أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقالت: شاهت الوجوه! كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله بأهل بدر، قال: وجر كعب بن سور بالخطام، وقال: اللهم إن تحقن الدماء وتطفي هذه الفتنة فاقتل عليا، ولما فعلت عائشة ما فعلت من قلب البرد وحصب أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام بالتراب، قال عليه السلام؟ ما رميت إذ رميت يا عائشة ولكن الشيطان رمى وليعودن وبالك عليك إن شاء الله)[1] قالت : ما أصابني إلا سهم لم يضرني. ثم جاء إليها أمير المؤمنين عليه السلام بذاته، حتى وقف عليها، وضرب الهودج بالقضيب، وقال: (يا حميراء! هل رسول الله صلى الله عليه وآله أمرك بهذا الخروج علي؟ ألم يأمرك أن تقري في بيتك؟ والله ما أنصفك الذين أخرجوك من بيتك، إذ صانوا حلائلهم وابرزوك!!) ثم انه عليه السلام أمر أخاها

---

١ . انظر: مصنفات الشيخ المفيد: ١/ ٣٢٨، الفتوح: ٤٨٤/١ .

محمدا ان ينزلها في دار آمنة بنت الحارث (ابن طلحة الطلحات)، فرفع الهودج وجعل يضرب الجمل بسيفه. (أمير المؤمنين عليه السلام يأمر بإعادة عائشة إلى المدينة) قال المسعودي: ثم ان أمير المؤمنين عليه السلام بعث عبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بالذهاب إلى المدينة المنورة، فدخل عليها بغير إذنها، فاجتذب وسادة وجلس عليها. فقالت له : يا ابن عباس، لقد أخطأت السنة المأمور بها بدخولك. روى بن أبي سبرة عن علقمه، عن أمه، قال: سمعت عائشة تقول: لقد رأيتني يوم الجمل وانه على هودجي الدروع الحديدية، والنبل يخلص إلي منها وأنا في الهودج، فهون ذلك علي ما صنعنا بعثمان، ألبنا عليه حتى قتلناه، وجرينا عليه الغواة، فنعوذ بالله من الفرقة بين المسلمين[1]علينا بغير إذن منا، وجلوسك على رحلنا بغير إذننا! فقال: نعم، لو كنت في البيت الذي تركك فيه رسول الله صلى الله عليه وآله لما دخلت عليك إلا بأذنك، ولا جلست على رحلك إلا بأمرك، بعثني أمير المؤمنين عليه السلام إليك يأمرك بسرعة الأوبة، والتأهب للذهاب إلى المدينة. قالت: أبيت عما قلت، وخالفت أمر من وصفت، فمضى إليه واخبره بامتناعها[2].

وكان الإمام علي عليه السلام أمام صفوف أصحابه وهو للحرب مستعد فجاء قيس بن عبادة وانشأ يقول:

هذا اللواء الذي كنا نحف به ... مع النبي وجبريل لنا مددا
ما ضر من كانت الأنصار عيبته ... ان لا يكون له من غيرها أحدا
قوم إذا حاربوا طالت اكفهم ... بالمشرفية حتى يفتحوا البلدا

وصف أصحاب عائشة صفوفهم وجاؤا بالجمل وعليه الهودج وفيه عائشة وخطامه في يد كعب بن شور وقد تقلد بالمصحف والازد وبنو ضبة قد أحاطوا بالجمل و عبد الله بن الزبير بين يدي عائشة ومروان بن الحكم عن يمينها والزبير يدير العسكر وطلحة على الفرسان ومحمد بن طلحة على الرجالة[3].

---

١ . مصنفات الشيخ المفيد: ١ / ٣٨١، مروج الذهب: ٣٧٦/٢.
٢ . الجمل، ضامن بن شدقم: ١١٩.
٣ . الجمل، الشيخ المفيد: ١٨٣.

فقال محمد بن الحنفية قال لي أبي حين رأى القوم قد زحفوا نحونا قدم اللواء فقدمته وزحف المهاجرون والأنصار فلما رأى القوم قد زحفت باللواء بارزا عن أصحابي رشقوني رشقة رجل واحد فوقفت مكاني وأيقنت منهم وقلت ينقضي رشقهم في مرة أو مرتين ثم أتقدم فلم اشعر إلا وأمير المؤمنين عليه السلام قد ضرب بين كتفي بيده ثم اخذ اللواء مني بيده ونادى (يا منصور أمت) فوالله ما سمعت القوم حتى رأيتهم قد زلزلت أقدامهم وارتعدت فرائصهم والتقى بعضهم ببعض وتزايلوا لترى عائشة موضع كل فريق منهم وتقدم عمار ومالك الاشتر مصلتين سيفهما نحو القوم ونادى أمير المؤمنين يا محمد بن أبي بكر إن صرعت عائشة فوارها وتول أمرها فتضعضع القوم حين سمعوا ذلك واضطربوا وأمير المؤمنين واقف في موضعه ثم تراجعوا بعد تضعضعهم ورجعت إليهم نفوسهم ونادوا البراز فتقدم رجل من بني عدي أمام الجمل وبيده السيف وهو يقول[1]:

أضربكم ولا أرى عليا
عممته ابيض مشرفيا
أريح منه قومنا عديا

فشد عليه رجل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام يقال له أمية العبدي وهو يقول[2]:

هذا علي والهدى سبيله
والرشد فيه والتقى دليله
من يتبع الحق يكن خليله

ثم اختلفت بينهما ضربتان فأخطأه العدوي وضربه العبدي فقتله فقام مقامه رجل يقال له أبو الحرباء عاصم بن مرة من أصحاب الجمل وهو يقول:

أنا أبو الحرباء واسمي عاصم وأمنا أم لها محارم

فشد عليه رجل من أصحاب أمير المؤمنين وهو يقول:

إليك إني تابع عليا وتارك أمكم مليا

---

١ . المصدر نفسه: ١٨٤.
٢ . الجمل، الشيخ المفيد: ١٨٥.

إذ عصـــت الكتـــاب والنبيـــا وارتكبت من أمرها فريا

وضربه فقتله فقام مقامه رجل من أصحاب الجمل يقال له الهيثم بن كليب الازدي وهو يقول:

نحـن نـوالي أمنـا الرضـية وننصـــر الصـــحابة المرضـــــــــــية

فشد عليه رجل من أصحاب أمير المؤمنين وهو يقول[1]:

دلـيلكم عجـل بنـي أميـة
وأمكـم خاسـرة شـقية
هاويـة فـي فتنـة عميـة

وضربه ففلق هامته وخر صريعا إلى الأرض وبرز من بعده عمرو ابن يثربي وكان من شياطين أصحاب الجمل فنادى هل من مبارز فبرز إليه علباء بن الهيثم فاختلفت بينهما ضربتان فقتل علباء (رحمه الله) فقام مقامه هند بن المرادي فبادره بالسيف فاتقاه وضربه عبد الله بن الزبير وشغله بنفسه وثناه هند بن يثري فقتلاه جميعا فبرز مقامه زيد بن صوحان العبدي فتضاربا[2].

قال أمير المؤمنين عليه السلام في معركة الجمل مخاطباً عائشة: وما رميت إذ رميت ولكن الشيطان رمى وليعودن وبالك عليك إن شاء الله وأنشدت أم ذريح العبدية من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام:

عـائش إن جئـت لتهزمينـا وتنشـري البـر لتغلبينـا
وتقـذفى بالحصـبات فينـا تصـادفي ضـربا وتنكرينـا
بالمشـرفيات إذا غزينـا نسـفك مـن دمـائكم ماشـينا

فقال محمد بن الحنفية (رحمه الله) قال لي أمير المؤمنين عليه السلام يا بني تقدم باللواء وصف أصحابه فجعل الحسن في الميمنة والحسين في الميسرة وكان في ميمنة أهل الجمل هلال بن وكيع وفي ميسرتهم صبرة بن عثمان وتزاحف الفريقان بعضهم إلى بعض قال فو الله لقد رأيت أول قتيل من القوم كعب بن شور بعد ان قطعت يمينه التي كان

---

١ . المصدر نفسه: ١٨٥.
٢ . الجمل: ١٨٥.

فيها الخطام فأخذه بشماله وقتل بعد ذلك وقتل معه أخوه وابناه ثم اخذ بخطام الجمل بعده رجل وهو يقول شعرا:

يــا أمنــا عــائش لا تراعــي كـل بنيـك بطـل شـجاع

فما برح حتى قطعت يداه وطعن فهلك فقام مقامه آخر منهم فقطعت يمينه وضرب على رأسه فهلك فما زال كل من اخذ بخطام الجمل رجل قطعت يده وجذ ساقه حتى هلك منهم ثمانمائة رجلاً وقيل ذلك اليوم قتل سبعون رجل من قريش وكان آخر من اخذ بزمام الجمل رجل من بني ضبة فجعل يقول[1]:

نحن بني ضبة أصحاب الجمل
ننعي ابن عفان بأطراف الاسل
ردوا إلينــا شــيخنا ثــم نحــل

فبرز إليه الاشتر وهو يقول: كيف نرد نعثلا وقد نحل وضربه على هامته ففلقها فخر صريعا فلاذ بالجمل عبد الله بن الزبير وتناول خطامه بيده فقالت عائشة من هذا الذي اخذ بخطام جملي ؟ قال أنا عبد الله ابن أختك فقالت واثكل أسماء ثم برز الاشتر إليه فخلى الخطام من يده واقبل نحوه فقام مقامه في الخطام عبد اسود واصطرع عبد الله والاشتر فسقطا إلى الأرض فجعل ابن الزبير يقول وقد اخذ الاشتر بعنقه ينادى اقتلوني ومالكا واقتلوا مالكا معي. قال الاشتر فما سرني إلا قوله مالكا ولو قال الاشتر لقتلوني فو الله لقد تعجبت من حمق عبد الله إذ ينادي بقتله وقتلي وما كان ينفعه المشوم أن قتلت وقتل هو معي ولم تلد امرأة من النخع غيري فأفرجت عنه فانهزم وبه ضربة مثخنة في جانب وجهه . فلما تفرق الناس عن الجمل أشفق أمير المؤمنين عليه السلام أن يعود إليه فتعود الحرب فقال عرقبوا الجمل فتبادر إليه أصحاب علي عليه السلام فعرقبوه ووقع[2].

ولمّا اشتد القتال واشتبكت الصفوف، نادى أمير المؤمنين عليه السلام بعقر الناقة.

---

١ . المصدر نفسه: ١٨٦ ـ ١٨٧.
٢ . الجمل: ١٨٦.

فكان محمد بن أبي بكر بين المتقدمين في الصفوف لعقر الناقة، وبعد أن عقرت وفر أصحاب الجمل قطع محمد بن أبي بكر البطان وأخرج الهودج.

جاء أمير المؤمنين علي عليه السلام فقرع الهودج برمحه وقال: يا شقيراء بهذا أوصاك رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقالت: يا بن أبي طالب ملكت فأصفح وظفرت فاسجع، فقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: والله ما أدري متى اشفي غليلي؟ أحين أقدر على الانتقام فيقال لي: لو عفوت أم حين أعجز عن الانتقام فيقال لي: لو صبرت فإن لكل شيء زكاة وزكاة القدرة والمكنة العفو والصفح، ثم التفت الإمام علي عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر: شأنك بأختك فلا يدنو منها أحد سواك[1].

---

١ . ينظر: الجمل، ضامن بن شدقم: ١٢١ وما بعدها، مروج الذهب: ٣٧٧/٢ وما بعدها، مصنفات الشيخ المفيد: ٣٨٣/١ وما بعدها.

المبحث الثاني

علاقته بأخته عائشة:

عائشة بنت أبي بكر، أخت محمد من أبيه، اضطربت الآراء حول علاقتهما مع بعضهما، فمنهم من أشار إلى أن علاقة عائشة بأخيها حسنة، فقد كانت تكنيه بأبي القاسم في زمان الصحابة ولم يروا في ذلك بأساً وقد سمى ولده (القاسم) فكان يكنى به.

وذكر أنه كان مبتعداً عنها ولا تعرف من أخباره شيئاً لأنه ربيب علي عليه السلام وسهر على تربيته على أحسن وجه حتى أنه كان لا يفرقه عن أولاده في شيء، ويظهر ذلك حينما شارك مع أمير المؤمنين علي عليه السلام في معركة الجمل، وكان قائداً على الرجالة، فخاض حرباً ضارية ضد أخته (عائشة) وطلحة والزبير الناكثين، فلما اشتدت الحرب نادى أمير المؤمنين علي عليه السلام: (ما أراه يقاتلكم غير هذا الهودج، اعقروا الجمل فأنه شيطان، وإلا فنيت العرب ..) فتقدم عمار بن ياسر، ومالك الأشتر، ومحمد بن أبي بكر (رضوان الله تعالى عليهم) فضربوا عجز الجمل، فوقع لحينه[1] وضرب بجرانه الأرض، ففر رجال من حوله فرار المعزى من الأسد، وحينما قطع محمد بن أبي بكر بطان الهودج، وأخرجه قالت عائشة: مَنْ أنت؟

فقال محمد: أبغض أهلك إليك!

فقالت: ابن الخثعمية.

فقال محمد: نعم لم تكن دون أمهاتك.

فقالت عائشة: لعمري بل هي شريفة، دع هذا الحمد لله الذي سلمك.

فقال محمد: قد كان ذلك ما تكرهين.

فقالت عائشة: يا أخي لو كرهته ما قلت الذي قلته.

فقال محمد: كنت تحبين الظفر، وإني قتلت؟

---

١ . سلسة الأعلام من الصحابة والتابعين سلمان الفارسي ومحمد بن أبي بكر، حسين الشكري: ٩٩.

فقالت: قد كنت أحب ذلك، ولكنه لما صرنا إلى ما صرنا إليه، أحببت سلامتك لقرابتي منك، فأكفف ولا تعقب الأمور، وخذ الظاهر، ولا تكن لومة ولا عذلة.

وجاء أمير المؤمنين عليه السلام وقرع الهودج برمحه، وقال: يا حميراء: بهذا أوصاك رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقالت: يا بن أبي طالب ملكت فاصفح، وظفرت فأسجح.

فقال الإمام علي عليه السلام: والله ما أدري متى أشفي غيظي؟ حين أقدر على الانتقام يقال لي لو غفرت؟ أم حين أعجز من الانتقام، فيقال لي لو صبرت، بلى اصبر، فإن لكل شيء زكاة، وزكاة القدرة والمكنة العفو والصفح.

ثم التفت عليه السلام إلى أخيها محمد، وقال له: شأنك بأختك فلا يدن منها أحد سواك.

وأمر الإمام عليه السلام فاحتملت عائشة بهودجها إلى دار عبد الله بن خلف بإشراف أخيها محمد، ثم أمر بحرق الجمل وأن يذر رماده في الريح، وأشار إلى الجمل، وقال: لعنه الله من دابة، فما أشبهه بعجل بني إسرائيل[1].

وأرى أن الحوار الذي دار بين محمد وأخته عائشة يبدو موضوعاً على لسان الاثنين، كيف لا تعرفه وكانت تكنيه وتتابع أخباره.

ومنهم من زاد على هذه الرواية بأن محمداً قال لأخته بعدما عقر الجمل وانتصر جيش الحق على الباطل، ورفع محمد الستار عن الهودج ورأته عائشة، فقالت له: من؟ الخبيث بن الطيب؟

فقال لها: بل الطيب بن الخبيث.

لا أرى أن الكلام ليس دقيقاً وإنما هو موضوع لأدلة كثيرة يمكن أن يستدل عليها القارئ اللبيب من فبركة الخبر منها:

١. إن هذه الرواية تناقض الرواية المماثلة لها في معركة الجمل، من ان عائشة لم تعرف محمداً فسألته من يكون؟ وهذه الرواية تذكر أن عائشة ما إن رأته حتى عرفته.
٢. أن محمداً كما ذكرت جَمْعٌ من المظان المعتبرة كان يتحلى بخلق المؤمن الحق، فلا يمكن أن تصدر منه شتيمة إلى والده وينعته

---

١ . الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٦٣٠هـ: ١٤/٣، سلسلة الأعلام من الصحابة: ١٠٠ وما بعدها.

بكلمة قبيحة (الخبيث) وليس ذلك من خلق المؤمن الحق، فالقرآن يأمرنا باحترام الوالدين مهما كان، ولكن أمرنا بعدم طاعتهما في معصية، وقد قال تعالى (فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا) وإن كنا نتفق مع ما نسب لمحمد من قول وما استبعادنا عن أن نقول ذلك إنما دفاعنا عن خلق محمد وحسن تربيته وصلاحه..

٣. إن من يتربى في حجر أمير المؤمنين علي عليه السلام المرتضى الذي يمثل أروع صورة للمؤمن الحق الذي رباه أخوه رسول الله وأدبه (أدبني ربي فأحسن تأديبي)، استحالة أن يكون جاحداً لوالده، وأن يطلق عليه ألفاظاً بعيدة كل البعد عن الخلق الإسلامي القويم، وهذا الذي كان حليف القرآن، والقرآن ينهى عن هذا الخلق، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال أهل بيت النبوة عليهم السلام ولا يمكن مطلقاً أن يقبل الإمام عليه السلام ممن سهر على تربيته أو حتى من غريب أن يتحدث عن والده بسوء، مهما كان هذا الوالد سيئاً وتصرفاته مخالفة للشارع الإسلامي الحنيف.

ولما بلغ عائشة خبر قتل أخيها محمد وجدت عليه وجداً عظيماً .. وأخذت ابنه القاسم فربته، وحينما كبر أصبح عالماً فقيه أهل المدينة، بل فقيه أهل الحجاز، وتوفي سنة (١٠١)هـ وله من العمر اثنان وسبعون سنة، وكان من خواص الإمام زين العابدين عليه السلام، ومن ذريته ابنته أم فروة زوج الإمام أبي جعفر.

ومما ينسب لمحمد بن أبي بكر أنه قال لأخته عائشة في خبر عجيب شعراً:

تجملت تبغلت وإن عشت تفيلت

لك التسع من الثمن وبالكل تملكت

يذكر المازندراني إن هذا البيت لمحمد أو لابن عباس خطاباً مع عائشة[1].

وذُكر أن الرسول محمداً صلى الله عليه وآله قُبِضَ عن تسع نسوة، وإنما لعائشة بنت أبي بكر تسع، ثمنُ هذا البيت الذي دفن فيه صلى الله

---

١ . شرح الأصول الكافي، المازندراني: ١٦٧/٦.

عليه وآله، ولا يصيبها من البيت ذراع في ذراع، ولهذا الأمر قيل هذا البيت[١].

وقد ذكر محققا كتاب الاحتجاج في الهامش أن هناك اختلافاً في هذا البيت في النسخ المخطوطة[٢].

ويذكر الراوندي أن هذا البيت في شعر ابن الحجاج الشاعر البغدادي[٣] وذكرهُ المجلسي في بحاره[٤]:

يا بنت أبي بكر لا كان ولا
كنـــــــــــــــــــــت

لك التسع من الثمن وبالكل تملكت

أما محمد باقر الخرسان صاحب التعليقات والملاحظات على كتاب الاحتجاج فقد ذكر في الهامش معلقاً على البيت:

تجملت: أي ركبت الجمل في حرب صفين ولعل ذلك سهوٌ من السيد محمد باقر فإنها في حرب الجمل.

وتبغلت: حينما جاؤوا بجنازة الإمام الحسن بن علي عليه السلام لزيارة قبر جده صلى الله عليه وآله فخرجت راكبة على بغلة يقودها مروان وهي تنادي لا تدخلوا بيتي من لا أحب، وقال مروان أيدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن عليه السلام مع جده رسول الله صلى الله عليه وآله لا كان ذلك أبدا[٥].

ولو وقفنا وقفة قصيرة على ما قاله مروان، لبان لنا ووضح الحقد الدفين الذي يضمره هذا الرجل للإسلام ولرسول الله صلى الله عليه وآله ولآل بيته عليهم السلام حتى في حياة الرسول صلى الله عليه وآله كما تذكر جميع المصادر المعتبرة، وهذه الرواية ذكرتها كتب الفريقين، ثم ما احتجاج مروان في أن عثمان دفن في أقصى المدينة فما

---

١ . الاحتجاج، الطبرسي (القرن السادس) تحقيق إبراهيم البهادري، الشيخ محمد هادي به، دار الأسرة ـ إيران ١٤٢٤هـ: ٣٠٩/٢.

٢ . المصدر نفسه: الهامش.

٣ . الخرائج والجرائح، الراوندي: ٢٤٣/١.

٤ . بحار الأنوار: ١٥٤/٤٤.

٥ . الاحتجاج، الطبرسي، تعليقات، ملاحظات السيد محمد باقر الخرسان، منشورات دار لبنان، النجف ١٩٦٦: ١٤٣/٢.

الضير في ذلك ما دام الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أيقارن بعثمان؟، فما وجه الغرابة ووجه المقارنة؟!! ترى من أحق بالدفن شرعاً وقرابة وقانوناً قرب رسول الله صلى الله عليه وآله ابنه أم الغريب؟!! وأترك التعليق لذوي العقول السليمة والضمائر الحيّة..؟!!

وينسب السيد محمد باقر الخرسان البيت لابن عباس قائلاً: (والبيت لابن عباس (رضوان الله تعالى عليه) خاطبها به ذلك اليوم، وليس لمحمد بن أبي بكر، بل أن محمداً لم يدرك ذلك اليوم، وقتل في عصر أمير المؤمنين عليه السلام)[1] .. ونذهب ما ذهب إليه السيد الخرسان من أن محمد بن أبي بكر استشهد سنة ٣٧هـ في مصر، وسيأتي الحديث عن ذلك، أما الإمام الحسن المجتبى فقد استشهد سنة ٥٠ للهجرة.

---

١ . الاحتجاج، الطبرسي، تعليقات، ملاحظات السيد محمد باقر الخرسان، منشورات دار لبنان، النجف ١٩٦٦: ١٤٣/٢.

موقفه من والده:

أغلب الروايات التي جاءت عن علاقة محمد بن أبي بكر بوالده كانت متأخرة .. وفيها شيء من التضارب.

ما عرف عن محمد بن أبي بكر أنه كان قد تربى تربية إسلامية فاضلة بعد أن تركه أبوه صغيراً حيث تولى أمير المؤمنين تربيته وتنشئته النشأة الصحيحة القويمة، هذا وقد نشأ مع الإمامين الحسن والحسين عليهم السلام وتطبع بطباعهما وتحلى بأخلاقهما.

فكان أمير المؤمنين عليه السلام يثني عليه ويفضله، ولهذا نشأ عابداً مجتهداً مثالاً لحسن الخلق والأدب والتربية، وقد قال عنه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: (كان عمار بن ياسر، ومحمد بن أبي بكر لا يرضون أن يعصى الله في الأرض) [1].

وقد ناقشنا ما نسب إليه من قول قاله لأخته عائشة بعد أن فتح الهودج وقالت له: من؟ الخبيث ابن الطيب، فأجابها بل الطيب ابن الخبيث.

لقد ذكرت بعض الروايات أن محمداً له أبيات قالها في هجاء أبيه وقال بعض العبارات فيها ذم لوالده، وسأورد ما استطعت أن أقف عليه من هذه الأبيات:

يا أبانا قد وجدنا ما صلح ... خاب من أنت أبوه وافتضح
إنما أخرجني منك الذي ... أخرج الدر من الماء الملح
أنسيت العهد في خم وما ... أم لمن أبواب خيبر قد فتح
أم لأرث قد تقمصت بها ... بعدما بخبخ علجك وكشح
ما ترى غدرك في الحشر غداً ... يا لك الويل إذا الحق اتضح
وسألك المصطفى عما جرى ... ومن قضاياكم من تلك القبح
ثم عن فاطمة وارثها ... من روى عنه ومن فيه نضح
وعليك الخزي من رب السما ... كلما ناح حمام وصدح
يا بني الزهراء أنتم عدتي ... وبكم في الحشر ميزاني رجح

---

١ . رجال الكشي: ٦٠.

وإذا صـــح ولائـــي لكمـــو لا أبـــالي أي كلـــب قـــد نـــبح

وقبل أن نقول عن هذه المقطوعة الشعرية التي نسبها المرعشي[1] إلى محمد بن أبي بكر وكذلك نسبها الديلمي في الإرشاد [2]نورد ما قاله منذر جواد مرزة فيها: (ومع أن المؤرخين لم يحدثونا أن محمداً كان شاعراً ونلاحظ مدى الركة في بعض الأبيات، وعدم استقامة البعض الآخر، أضف إلى ذلك، إن هذه القطعة عدا البيت الخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع، قد أوردها الديلمي في الإرشاد بدونها، وكذلك ابن شاذان في فضائله، بدونها أيضاً، مما يدل أنها وضعت مؤخراً، وحشرت فيها، ومنها نستطيع أن نقول أن الأبيات كلها موضوعة عن لسان محمد لأسباب معينة ولا صحة لنسبها إليه)[3].

واتفق مع بعض ما قاله الأستاذ منذر جواد مرزة عن هذه القصيدة .. لقد وردت أربعة أبيات أولى منسوبة إلى محمد بن أبي بكر ذكرها ابن شاذان، والديلمي، ثم وضعت بعد ذلك باقي الأبيات ولا يوجد مصدر واحد من المصادر القديمة المعتبرة قد ذكرت هذه الأبيات حسب علم الباحث، هذا مما يدل على أن قصيدة وضعت مؤخراً وحشرت فيها الأبيات (٥، ٦، ٧، ٨، ٩) ومنها نستطيع أن نحكم على هذه الأبيات (٥، ٦، ٨، ٩) موضوعة على لسان محمد بن أبي بكر لأسباب معروفة.

هذا وأن المصادر القديمة المعتبرة لم تذكر بأن محمد بن أبي بكر كان شاعراً أو ينظم شعراً أو أبياتاً من الشعر وكذلك إن هذه الأبيات ركيكة السبك مهلهلة النسج، لا يمكن ان تنسب لرجل كان حليف القرآن قد نهل من علم أمير المؤمنين عليه السلام أمير البلغاء.

كما أنه لم تكن قصائد شعراء صدر الإسلام بهذا الأسلوب الركيك، ولا بهذه اللغة الهابطة، إضافة إلى ذلك لا يمكن أن تجد عندهم خللاً في الأوزان، وإن هذه الأبيات لو قورنت بشعر أضعف الشعراء وأكثرهم ركة في شعره لما وجدنا قصيدة أرك منها في عصر محمد بن

---

١ . مجالس المؤمنين، المرعشي: ٢٧٧.

٢ . مجالس المؤمنين، نور الله شوشتري:١/ ٢٧٧، الإرشاد الديلمي الجزء الثاني، وفضائل ابن شاذان.

٣ . الفتن بعد الرسول: ٦٥، ٦٦.

أبـي بكـر، ويمكـن أن تجـد مصـداق ذلـك الشـعر عنـد قراءتـك دواويـن شـعراء صـدر الإسـلام كلهـم وديـوان الحماسـة لأبـي تمـام أو أشـعار الهذليين أو أي شعر ورد في الكتب المعتبرة.

وإن حاول بعضـهم الاستدلال علـى أن هذه القصـيدة موضـوعة لأن محمد ابن أبي بكر كان يخاطب أباه خطاباً مباشراً علماً أن والده تـوفي وهو طفل صغير لا يدرك شيئاً فيمكن أن نقول أن مثل هذا الموضـوع لا صلة له بطاعة الوالدين، وإنما له صلة باحترامهما، ولـو كـان الوالـد كـافراً لجـاز التبـرأ منـه، قـال تعـالى: (فَلَمَّـا تَبَـيَّنَ لَـهُ أَنَّـهُ عَـدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَـرَّأَ مِنْهُ)(التوبة: ١١٤).

ويمكن القول أنَّ هذا الاستدلال خاطئ، حيث يمكن مخاطبـة الغائـب أو الميت، وفي كلام العرب الكثير من هذا الأمر، قـال الشـاعر محمد مهدي الجواهري مخاطباً الحسين عليه السلام:

فداء لمثواك من مضجع تنـــور بـــالأبلج الأروع

هذا ولا يعقل بـأن مـن تربـى فـي حجـر أميـر المؤمنين علـي عليـه السلام يلفظ مثل هذه الألفاظ على والده وإن كـان والـده قد انحـرف عن جادة الحق، أو حتى يقبل أمير المؤمنين عليه السلام منـه هذا الكـلام أو حتـى أخوتـه، لأن الإسـلام قد أكد علـى احتـرام الوالـدين وعدم الإسـاءة إليهما، ومحمد بـن أبـي بكـر كـان مـن أشد النـاس تطبيقاً لتعـاليم القرآن والالتـزام بمـا جـاء بـه، فطاعـة الوالـدين واجبـة إلا فـي معصـية الله أو الإشراك به، ولا يفهم هذا الكلام بأنه دفاعٌ عن أبيه فلا يختلف اثنـان مـا فعله أبوه وعمر قبيل وفـاة رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه، ومـا فعلاهُ بعد وفاتـه بالإمـام علـي بـن أبـي طالـب عليـه السـلام وببنـت رسـول الله صلى الله عليه وآله فاطمة الزهراء من أفعال منكرة ليست مـن الإسـلام في شيء، من سلب الحقوق لاسيما الخلافة ومـا وصـى بـه رسـول الله صلى الله عليه وآله وما ذكره الله تعالى في كتابه الحكيم إشـارة لإكمـال الدين وإتمام النعمة فبعد أن نفذ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآلـه مـا أمره به الله عز وجل بقوله تعالى (بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) نزلت الآية الكريمـة (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ

نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا) وإنما كلامنا واضح دفاعاً عن ربيب أمير المؤمنين عليه السلام وأخ الحسن والحسين عليهم السلام فلا يظنن قليل الثقافة والمصاب بقصور الفهم أن ذلك أبيه وصاحبه الذين اجتهدا مقابل سنة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله.

ولو قال أحدٌ إن محمد بن أبي بكر قد علم بموقف أبيه من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وموقف عمر بن الخطاب كذلك واغتصاب الخلافة من صاحبها الشرعي ومخالفة القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد صلى الله عليه وآله في هذا الشأن، وموقفهما من بنت المصطفى صلى الله عليه وآله فاطمة الزهراء & واغتصاب حقها هو الذي حدا به إلى البراءة منه ومن الثاني، نعم نحن نؤيد هذا القول ونتفق معه كلياً وكلنا نقول أن محمد بن أبي بكر قد عبر عن ذلك في أعماله وسلوكه وتصرفاته، وكلها تنمّ بشكل واضح وقاطع على استقامته وموقفه مع الحق ومجابهة الباطل بحزم وقوة ونصرة صاحب الحق ومناصرته والوقوف بوجه أعدائه أعداء الله والحياة أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وأعداء الإسلام فهذا الموقف الصريح الشريف لهو خيرٌ من السباب والشتائم، إعلام البراءة لا يستلزم السباب والشتائم وليس هنالك دليل على إن إعلان البراءة من المنحرفين عن جادة الصواب فيه محذور فقهي أو أخلاقي والدليل الواضح على ذلك تبرأ النبي إبراهيم عليه السلام من أبيه كما صرح بذلك القرآن الكريم، وتبرأ الله تعالى من المشركين في سورة براءة، وهو أولى أن يصدر من شخص حليف القرآن وربيب أمير المؤمنين علي عليه السلام وأخ الإمامين الحسن والحسين عليهم السلام.

الفصل الثاني

المبحث الأول:

- الثورة على عثمان.
- خروج محمد بن أبي بكر إلى مصر.
- محمد بن أبي بكر ومقتل عثمان.

المبحث الثاني:

- ولايته على مصر.
- استشهاده.
- خبر مقتل محمد بن أبي بكر
- أثره على أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام.
- أثره على عائشة.

المبحث الأول

الثورة على عثمان ودور محمد فيها:

١. من أسباب نقمة المسلمين على عثمان:

إن من يطالع المظان المعتبرة القديمة وما ذكره أصحابها كالطبري والدنيوري والسيوطي وغيرهم يجد ما يمكن أن نجعلها أسباباً في نقمة أغلب المسلمين على عثمان، فقد استحدث عثمان أشياء عدة لم يسبق أن كانت في عهد الرسول ولا في عهد أبي بكر وعمر، ومن هذه الأمور:

١. خالف سنة النبي صلى الله عليه وآله في التكبير، فكان الرسول صلى الله عليه وآله يجهر القول في التكبير، وعثمان أول من خفض صوته في التكبير خلاف رسول الله.
٢. لم يكن هناك أذان يوم الجمعة على عهد الرسول ولا على عهد أبي بكر وعمر، فكان عثمان أول من أمر بالأذان يوم الجمعة، وبهذا العمل فقد خالف سنة النبي صلى الله عليه وآله هذا ثابت في كتب التاريخ والسير بلا استثناء.
٣. الثابت في عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وفي عهد الشيخين أن الصلاة تقدم على الخطبة في العيد، فجاء عثمان وقدم الخطبة على الصلاة.
٤. أول من خرج عن سنة الرسول صلى الله عليه وآله فيما يتعلق بزكاة الخيل والدقيق فقد أمر بإعفائها من الزكاة.
٥. كان هناك موضع في الجزيرة يسمى (الحمى) يكثر فيه العشب والكلأ يحمى من الناس في الجاهلية أن يرعوا فيه .. وقد نهى الرسول محمد صلى الله عليه وآله عن هذه العادة الجاهلية البغيضة فنهى صلى الله عليه وآله عن أن تحمى هذه المنطقة على الناس كما كان بعض أهل الجاهلية يفعلون فلم يلتزم عثمان بما نهى عنه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فكان أول من حمى الحمى لا بل الصدقة لأبِلهِ، وإبل بني أمية وخيلها.
٦. خالف الشرع الإسلامي حينما اقطع القطائع لعائلته، وعشيرته والمقربين إليه، وهو أول من فعل ذلك في الإسلام، وهذا ما

ذكرته المضان أغلبها لاسيما كتب الفريق الآخر، فهل هذا العمل من الإسلام في شيء.

٧. كان الحكم بن العاص عم عثمان أكثر الناس إيذاء للرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأكثرهم تعرضاً له صلى الله عليه وآله فأمر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بأبعاده من المدينة مع أهله لما في ذلك حفاظاً عن الإسلام والمسلمين من أذى هذا الرجل وقبيح فعله الذي لم يتورع على الرغم من حلم الرسول صلى الله عليه وآله عليه، فتمادى في غيه.

فأبعده الرسول صلى الله عليه وآله عن المدينة، حتى أن عثمان كان قد شفع لعمه عند الرسول صلى الله عليه وآله في إعادته، فلم يقبل الرسول صلى الله عليه وآله أن يعيده لأن في إعادته ضرر على الإسلام، ولم يعده أبو بكر وعمر، ولكن لما ولي عثمان، أول عمل قام به أنه أعاد عمه إلى المدينة، وما فعله عثمان لا يختلف فيه اثنان وليس له أي تبرير في مخالفته لشرع الله ولسنة نبيه صلى الله عليه وآله.

٨. لقد قرب أقاربه ومن كان بينه وبينهم صلة قربى أو رحم، دون مراعاة مركزه الاجتماعي أو الديني أو أحقيته في المنصب، فلذلك سارع في عزل ولاة عمر عن الأمصار ووضع أقاربه بديلاً عنهم، لا لشيء إلا لأنهم أقاربه أو تربطه بهم صلة.

٩. في زمن عثمان أزداد الأغنياء ثراءً وتكونت طبقة ثرية مترفة لم تكن موجودة أصلاً في زمن الرسول صلى الله عليه وآله ولا في زمن أبي بكر وعمر، وهي طبقة رقيقة الدين استحوذت على الثروات الطائلة واشترت الضياع والأراضي الزراعية، واستأثرت بالفيء والغنائم لأنفسها، وحرمان من هم أحق بها منهم، وقد احتالوا في ذلك بأن ادعوا أن الفيء لله، وليس للمحارب إلا أجر قليل يدفع إليه، فلذلك نشأت في عهد عثمان طبقة فقيرة معدمة بائسة، إلى جانب طبقة غنية استولت على كل شيء .. وهذا ما ذكرته كتب التاريخ والسير جميعها دون استثناء.

١٠. لقد ولى عثمان ابن عمه (ابن الحكم بن العاص) سوق المدينة بعد موت والده، وكان هذا الرجل سيء السيرة والسلوك فطمع

في استغلال المنصب لجمع المال والإثراء بعيداً عما يأمر به الشارع الإسلامي، وخلافاً لسُّنةِ النبي محمد صلى الله عليه وآله.

١١. قرب الحكم بن العاص ابن عمه الآخر الذي عُرفَ عنه بغضه الشديد للرسول صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام وللمسلمين، فاتخذه وزيراً ومستشاراً له، وهو المعروف عنه بين الناس كما تذكر الكتب التاريخية وكتب السير والرجال رقيق الدين، لذلك أنكر أغلب المسلمين على عثمان هذا العمل، وهذا ما دعا أعلام الصاحبة الذهاب إلى عثمان ولومه فيما أقدم عليه من أمر الحكم بن العاص، لكن ذلك لم يجد صدى في نفس عثمان ولم يتراجع عن قراره، ولموقف أعلام الصحابة من الحكم بن العاص، جعله أكثر عداءً لهم وللإسلام فكان يقوم بأعمال خبيثة يحاول بها هدم الإسلام وتقويضه[1].

١٢. موقف الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري المعروف بورعه وتقواه وحبّ الرسول صلى الله عليه وآله له، وتقريبه منه واحترام آراءه ومشورته، وكان هذا الصحابي الجليل ــ كما عرف عنه ــ لا يخشى في الحق لومة لائم .. إنه وقف بوجه عثمان بصلابة ودون خوف أو وجل حماية له من بطانته وحمايته من نفسه لكيلا يجرفه تيارهم العاتي بعيداً عن الشريعة الإسلامية، لكن عثمان بدل أن يسمع له وقف ضده، وأخذ بمشورة بطانته بإبعاده ومحاربته دون أي اعتبار إلى مكانته عند رسول الله صلى الله عليه وآله وحبه له وتقديره لدوره في إعلاء كلمة الإسلام وجهاده ومشاركته في كل الحروب والغزوات إلى جنب الرسولصلى الله عليه وآله.

مما تقدم يتضح لنا مما يمكن أن يستخلصه القارئ اللبيب الفطن الذي يحكم عقله، من مجرى الأحداث أن الدولة الإسلامية التي بناها الرسول صلى الله عليه وآله وسهر على إرساء قواعدها، راحت تتغير بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وأما في عهد عثمان فكان التغيير كبيراً ومخالفاً لنهج رسول الله صلى الله عليه وآله وما أكد صلى الله عليه وآله عليه وأوجب اتباعه.

---

١ . فتنة عثمان: ١٨٠ ــ ١٨٥.

وأنَّ هذا التغيير أثار روح المعارضة لسياسة الحكومة، والاستياء من تصرفاتها، وكل ما فعله عثمان يشكل بالنتيجة بواعث على التمرد عليه لا في المدينة فحسب بل في جميع الأمصار.

٢. أسباب انضمام محمد بن بكر إلى الثوار:

حينما رأى محمد بن أبي بكر أن أغلب الصحابة الأجلاء الذين يهمهم الحفاظ على الإسلام وأن تبقى تعاليمه ناصعة نظيفة لا تنحرف عن مسراها الذي رسمه رسول الله صلى الله عليه وآله، والذين حاولوا نصح عثمان لكي يلتزم بتعاليم رسول الله صلى الله عليه وآله، وعدم انجراره وراء أهواء وضغائن آل مروان وآل سفيان، وأن يعدل عن سياسته لكن عثمان لم يرتدع ولم يعدل عن قراره الذي دفعه آل مروان وآل سفيان إليه دفعاً فوجد أنه من الصعوبة الرجوع عنه..

انظم محمد إلى الثوار وأراد أن يغير ولو بالقوة ما عزم عليه عثمان، ولكي يعلم عثمان أن هناك الكثير ممن لا يتفق معه ويعارضه فيما هو سائر عليه.

كما إن محمداً كان يرى أن ما عليه عثمان هو نوع من العصيان لله تعالى ولرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وهو الذي ــ أي محمد بن أبي بكر ــ لا يقبل أن يعصى الله تعالى كما قال الإمام الصادق عليه السلام عنه، ولذلك أنظم إلى الثوار.

وذكر الطبري أن سبب الثورة على عثمان وجرأة الثوار عليه إنما لسبب بطانته مروان بن الحكم ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عامر بن كريز، وعبد الله بن سعد، منهم من نزل القرآن بدمه، ومنهم من أباح رسول الله صلى الله عليه وآله دمه[١].

ومن ذلك ما كتبه أهل المدينة إلى عثمان يدعونه التوبة، ويحتجون ويقسمون له بالله لا يمسكون عنه أبداً حتى يقتلوه، أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله، فلما خاف عثمان القتل شاور نصائحه وأهل بيته، فقال لهم: قد صنع القوم ما قد رأيتم، فما المخرج؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، ويطلب إليه أن يرد الثوار عنه، ويتعهد عثمان بأن يعطيهم ما طلبهم ويستغل الفرصة حتى يأتيه إمداد ..

---

١ . تاريخ الطبري: ٣٦٦/٤.

فقال عثمان لنصائحه: إن القوم لن يقبلوا التعليل، وهم محملي عهدٍ، وقد كان مني في مقدمتهم الأولى ما كان فمتى أعطهم ذلك يسألوني الوفاء به.

فقال مروان بن الحكم: يا أمير المؤمنين، مقاربتهم حتى تقوى أمثل من مكاثرتهم على القرب، فأعطهم ما سألوك، وطاولهم ما طالوك، فإنما هم بغوا عليك، فلا عهد لهم.

ولنقف وقفة تأمل لقول مروان لتتبيّن لنا مخالفته للحق ومراوغته في نكث العهد والاحتيال على الناس، وهذه الصفات ليست من شيم العربي قبل الإسلام ولا من شيم المسلم في الإسلام، وهذا دليلٌ من الأدلة التي لا تقبل الرد أو النقض أو التأويل بأن الرجل بعيد عن الخلق العربي والقيم الإسلامية معاً.

فأرسل عثمان إلى الإمام علي عليه السلام فدعاه، فلما جاءه قال: يا أبا الحسن، أنه قد كان من الناس ما قدر رأيت، وكان مني ما قد علمت، ولست آمنهم على قتلي، فأرددهم علي، فإن بهم الله عز وجل أن أعتبهم من كل ما يكرهون، وأن أعطيهم الحق من نفسي ومن غيري، وإن كان ذلك سفك دمي.

فقال له الإمام علي عليه السلام: الناس على عدلك أحوج منهم على قتلك وإني لأرى قوماً لا يرضون إلا بالرضا، وقد كنت أعطيتهم في قدمتهم الأولى عهداً من الله لترجعن عن جميع ما نقموا، فرددتهم عنك، ثم لم تف لهم بشيء من ذلك، فلا تفرّ في هذه المرة من شيء، فأني معطيهم عليك الحق.

قال عثمان: نعم، فأعطهم، فو الله لأفينَّ لهم.

فخرج الإمام علي عليه السلام إلى الناس فقال:

أيها الناس إنكم إنما طلبتم الحق، فقد أعطيتموه، وإن عثمان قد زعم أنه منصفكم من نفسه، ومن غيره، وراجع عن جميع ما تكرهون، فاقبلوا منه ووكروا عليه[1].

قال الناس: قد قبلنا، فاستوثق منه لنا، فإنا والله لا نرضى بقول دون فعل.

فقال الإمام علي عليه السلام: ذلك لكم.

---

١ . تاريخ الطبري: ٣٧٠/٤.

فدخل الإمام عليه السلام على عثمان فأخبره بالخبر.

فقال عثمان: أضرب بيني وبينهم أجلاً، يكون لي فيه مهلة، فإني لا أقدر على رد ما كرهوا في يوم واحد.

فقال الإمام علي عليه السلام: ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك.

قال عثمان: نعم، ولكن أجلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام.

قال الإمام علي عليه السلام: نعم[1].

فخرج الإمام علي عليه السلام إلى الناس فأخبرهم بذلك، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً أجله فيه ثلاثاً، على أن يرد كل مظلمة، ويعدل كل عامل كرهوه.

وأخذ الإمام علي عليه السلام على عثمان في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهدٍ وميثاق، واشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار، فكف المسلمون عنه، ورجعوا إلى أن يفي لهم بما أعطاهم من نفسه، لكن عثمان بتحريض من مروان أخذ يتأهب للقتال، ويستعد بالسلاح، وقد اتخذ جنداً عظيماً من رقيق الخمس..

ومرت ثلاثة أيام ولم يتغير شيء ولم يقم بإيفاء أو تنفيذ أي طلب ولم يغير شيئاً مما كرهوه[2].

هذا ما ألب القوم عليه ولاسيما أهل مصر، الذين كانوا على استعداد للثورة عليه فيما إذا لم يف بعهده الذي قطعه أمام وجهاء المهاجرين والأنصار، والذي زاد من نقمتهم أكثر من شكهم بنية عثمان في إضمار الشر للثوار والتنصل من عهده أنه لما انقضت الأيام الثلاثة مسكوا غلاماً لعثمان يحمل صحيفة إلى عبد الله بن سعد فيه أمر بجلد أشراف القوم، والتمثيل بهم، والقتل والقطع والصلب، فأتوا بالكتاب إلى عثمان، فأنكر أن يكون كتبه، وقال:

هذا مغفل.

قالوا له: فالكتاب كتابك؟

قال عثمان: أجل، ولكنه كتبه بغير أمري.

قالوا له: أن الرسول الذي وجدنا معه الكتاب غلامك؟

---

١ . المصدر نفسه: ٣٧٠/٤.

٢ . تاريخ الطبري: ٣٧١/٤.

قال عثمان: نعم ولكنه خرج بغير إذني.

قالوا: فالجمل جملك؟

قال عثمان: أجل، لكنه أخذ بغير علمي.

فقال له أحدهم: ما أنت إلا صادق أو كاذب، فإن كنت صادقاً فقد استحققت أن تخلع لضعفك، وغفلتك، وحنث بطانتك، لأنه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يقتطع مثل هذا الأمر دونه، لضعفه وغفلته.

وقالوا له: إنك تضرب رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وغيرهم حين يعظونك ويأمرونك بمراجعة الحق عندما يستنكرون من أعمالك.

ومن الجدير بالذكر أن مروان أشار على سعد بن أبي وقاص، أن يذهب لعلي بن أبي طالب ليحقن دم عثمان، فوجده بين القبر والمنبر فطلب سعد من الإمام علي ذلك، فقال له الإمام عليه السلام: لا والله ما زلت أذب عنه حتى أني لاستحي، ولكن مروان ومعاوية وعبد الله بن عامر وسعيد بن العاص هم صنعوا به ما ترى. فإذا نصحته امرأته أن ينحيهم استفشى حتى جاء ما ترى.

وبيناهم كذلك جاء محمد بن أبي بكر، فسار الإمام علي عليه السلام فأخذ بيد سعد ونهض عليه السلام وهو يقول: (أي خير توبته هذه فو الله ما بلغت داري حتى سمعت الهائعة أن عثمان قد قتل فلم يزل والله في شر إلا يومنا هذا)[1].

ويتضح من مجرى الأحداث أن الدولة الإسلامية قد تغيرت تماماً في عهد عثمان، وأن هذا التغيير أثار روح المعارضة لسياسة الحكومة والاستياء من تصرفاتها، وكل ذلك باعث على التمرد عليها في المدينة وفي جميع الأمصار[2].

---

١ . تاريخ الطبري: ٣٧٨/٤.

٢ . تاريخ الإسلام: حسن إبراهيم حسن: ٢٩١ وما بعدها.

خروج محمد بن أبي بكر إلى مصر:

لقد قدم محمد بن أبي بكر ومعه محمد بن أبي حذيفة على مصر في العام الذي خرج عبد الله بن سعد بن أبي سرح إليها وواقفاً بمصر محمد بن طلحة بن عبيد الله، وهو مع عبد الله بن سعد فأظهر محمد بن أبي حذيفة عيب عثمان والطعن فيه، وقال أن عثمان استعمل رجلاً أباح الرسول محمد صلى الله عليه وآله دمه يوم الفتح ونزل القرآن بكفره، حين قال: (سأنزل مثلما نزل الله).

وكتب ابن أبي سرح إلى عثمان: إن محمد بن أبي بكر، ومحمد ابن أبي حذيفة قد انغلا علي المغرب وإفساده، فكتب إليه عثمان:

(أما محمد بن أبي بكر فأني أدعه لأبي بكر وعائشة، وأما محمد بن أبي حذيفة، فإنه ابني وابن أخي وأنا ربيبة وهو فرخ قريش[1]).

وفي الليلة التي قدم فيها المحمدان، فأتت ابن أبي حذيفة صلاة الصبح فجهر بالقراءة، فسمع ابن أبي سرح قراءته، فسأل عنه، ثمَّ أمر إذا صلى أن يؤتى به، فلما رآه قال: ما جاء بك إلى بلدي؟

قال محمد: جئت غازياً.

قال ابن أبي سرح، ومن معك؟

قال: محمد بن أبي بكر.

فقال ابن أبي سرح: والله ما جئتما إلا لتفسدوا الناس، وأمر بهما فسجنا فأرسلا إلى محمد بن طلحة يسألانه أن يكلمه فيهما لئلا يمنعهما من الغزو، فأطلقهما ابن أبي سرح، وغزا ابن سرح أفريقيا، فأعد لهما سفينة مفردة لئلا يفسدا عليه الناس، فمرض محمد بن أبي بكر، فتخلف، وتخلف معه ابن أبي حذيفة، ثم أنهما خرجا في جماعة الناس فما رجعا من غزاتهما إلا وقد أوْغَرا صدور الناس على عثمان[2].

فلما بلغ عثمان ذلك دعا بعمار بن ياسر فاعتذر إليه مما فعل به واستغفر الله منه وسأله إلا يحقد عليه، وسأله الشخوص إلى مصر ليأتيه بصحة خبر محمد بن أبي حذيفة ولما وصل عمار حرض الناس على عثمان مما رآه من أعماله وتقريب من أبعدهم الرسول صلى الله

---

١ . أنساب الأشراف، البلاذري، تحقيق محمد فردوس العظم، دار اليقظة دمشق ١٩٩٩: ١٦٧/٥.

٢ . أنساب الأشراف: ١٦٨/٥.

عليه وآله، ونهجه خلاف ما نهجه الرسول صلى الله عليه وآله في كل شيء، فكتب ابن أبي سرح إلى عثمان يعلمه، ويستأذنه في عقوبة عمار، ولكن عثمان كتب إليه (وبئس الرأي ما رأيت يا ابن أبي سرح، فأحسن جهاز عمار وأحمله إليَّ)[1].

ثار المصريون بزعامة محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، وخرج الثوار إلى عثمان في المدينة، وأقام محمد بن أبي حذيفة بمصر، بعد أن أخرج منها عامل عثمان عبد الله بن أبي سرح، وصلى الناس الجماعة، وخطب فيهم، وضبطها فلم يزل بها مقيماً حتى قتل عثمان، وبويع لعلي بن أبي طالب بالخلافة[2].

أظهر معاوية الخلاف والتمرد على ولي أمر المسلمين الذي انتخب باجتماع المسلمين على خلافته وهو علي بن أبي طالب عليه السلام، وبهذا خالف الشريعة الإسلامية وأمر الله عز وجل في أمره بإطاعة أولي الأمر فجهز معاوية جيشاً طليعته أربعة آلاف رجل من أهل الشام، فسار إلى مصر لمحاربة محمد بن أبي حذيفة فنزل بعين الشمس قبل قدوم قيس بن سعد بن عبادة أميراً عليها من قبل الإمام علي عليه السلام معالجاً دخول مصر فلم يقدر على ذلك.

فما زال عمرو بن العاص يخادع محمد بن أبي حذيفة حتى أخرج إلى عريش مصر في ألف رجل فتحصن بها وجاءه عمرو بن العاص فنصب المنجنيق عليه حتى نزل في ثلاثين من أصحابه فاعتقلوا وقتلوا جميعهم[3].

ويرجع الدكتور حسن إبراهيم حسن أسباب انضمام محمد بن أبي بكر إلى الثوار في مصر ضد عثمان، لا لكونه رفض الباطل، ووقف مع الحق ولا لكون عثمان حاد عن طريق الرسول صلى الله عليه وآله وأبي بكر وعمر، وخالفهم، ولا لاستئثار آل مروان وسفيان بالحكم والضياع والثروة، والجاه وحرمان المسلمين بغير وجه حق باعتبار أن محمد بن أبي بكر التقي الورع الذي لا يقبل أن يعصى أمر الله تعالى، ولا يطبق شرعه وأفعال وأقوال الرسول صلى الله عليه وآله، فكل ذلك

---

١ . المصدر نفسه: ١٦٩/٥.
٢ . تاريخ الطبري: ٥٤٨/٣ حوادث سنة ٣٦هـ.
٣ . تاريخ الطبري: ٥٤٨/٣ حوادث سنة ٣٦هـ.

ليس بذي أهمية بالنسبة للدكتور حسن إبراهيم حسن، ولكن يرجع ذلك إلى (صلة النسب بينه وبين علي بن أبي طالب وابنه الحسن بن علي) فقد تزوج الإمام علي عليه السلام أسماء بنت عميس أم محمد بن أبي بكر بعد وفاة أبيه، فكان ابن أبي بكر ربيباً في بيت علي، ولأن الحسين بن علي عليه السلام ومحمد بن أبي بكر كانا زوجين لابنتي يزدجر الثالث أخر ملوك ساسان من الفرس، ولأن كتاب مروان بن الحكم قد كتب إلى ابن أبي سرح بقتل محمد بن أبي بكر والتمثيل به وبمن معه من المهاجرين والأنصار[١].

ولنتأمل قليلاً في ما قاله الدكتور حسن عباس حسن الكاتب والمؤرخ الكبير، الذي حاد عن المنهج العلمي، حينما زعم أن محمد بن حذيفة ومحمد بن أبي بكر انظما إلى ابن سبأ للوقوف ضد عثمان[٢].

والغريب في الأمر وهو الكاتب الواعي والمفكر وصاحب المؤلفات القيمة العديدة، لم يقف ويناقش قضية شخصية ابن سبأ، بل هو مسلّم بوجودها دون أن يقلب الطرف في المظان المعتبرة ويعرف حقيقة هذه الشخصية التي أقحمت في التاريخ من قبل أعداء الله أعداء الإسلام والمسلمين، وقد أشار إلى ذلك علماء الفريقين واختلفوا في أصله ووجوده، ومن الذين أنكروا وجوده طه حسين حيث قال: (إن ابن سبأ شخصيته وهمية خلقها خصوم الشيعة وأعداؤهم)[٣].

---

١ . المصدر نفسه: ٢٩٥.

٢ . تاريخ الإسلام: حسن إبراهيم حسن: ٢٩١ - ٢٩٥.

٣ . الموسوعة الحرة ويكيبيديا، عبد الله بن سبأ: wikipedia. Org htm

محمد بن أبي بكر ومقتل عثمان:

تضاربت الروايات الواردة في المصادر القديمة وكتب السير بشأن دور محمد بن أبي بكر في قتل عثمان، فمنها من ذكر بأن محمداً لم يشارك في قتل عثمان ومنها من ذكرت بأنه شارك في قتله.

من يقرأ الكتب التاريخية المعتبرة بإمعان سيستشف أن محمد بن أبي بكر كان قد أخذ على عثمان وخرج عليه، والصحيح أنه لم يقتله ولم يشترك في قتله بل إنه لما دخل على عثمان الدار ذكره بمكانته من أبيه فخرج عنه نادماً وهذا ما يذكره ابن كثير في كتابه البداية والنهاية إذ قال: (فقال: أبي عثمان مهلاً يا ابن أخي مستحيياً نادماً، فاستقبله القوم على باب الصفة فردهم طويلاً فدخلوا، وخرج محمد راجعاً .. ويضيف قائلاً: والصحيح أن الذي فعل ذلك غيره، وأنه استحى ورجع حين قال له عثمان: لقد أخذت بلحية كان أبوك يكرمها، فتندم من ذلك وغطى وجهه، ورجع وكان ذلك في الكتاب مسطوراً) وأرى أن عثمان كان يقصد أباه الذي ربّاه.

فمحمد بن جرير الطبري ذكر في تاريخه أن محمدَ بن أبي بكر دخل على عثمان ومعه ثلاثة عشر رجلاً من المسلمين، فأخذ بلحية عثمان وقال له: (ما أغنى عنك معاوية؟ ما أغنى عنك ابن عامر، ما أغنت عنك كتبك؟

فقال له عثمان: أرسل لحيتي يا ابن أخي، أرسل لحيتي، فتركه محمد بن أبي بكر، فهجم عليه الآخرون وقتلوه)[1].

أما صاحب كتاب التمهيد والبيان في قتل عثمان، فيذكر أن محمد بن أبي بكر كان آخر من دخل على عثمان مع ثلاثة عشر رجلاً، فأخذ بلحية عثمان، وقال له: ما أغنى عنك معاوية؟ وما أغنى عنك ابن عامر، وما أغنت عنك كتبك؟

فقال له عثمان: مهلاً ابن أخي، فو الله لقد أخذت مأخوذاً ما كان أبوك ليأخذ به، فتركه وانصرف مستحيياً، فاستقبله القوم على الصفة فردهم طويلاً حتى غلبوه، فدخلوا على عثمان وخرج محمد راجعاً[2].

---

١ . تاريخ الرسل والملوك: ٣٧٢/٤.

٢ . التمهيد والبيان في مقتل عثمان: ١٣٧ – ١٣٩.

وتدلنا هذه الرواية على أن محمداً كان بريئاً من دم عثمان وأنه حاول أن يمنع القوم من قتله ولكنه لم يفلح.

أما صاحب كتاب معجم الصحابة فإنه كان مجرد ناقل للرواية دون أن يرجح أحد الرأيين فيقول: (وكان ممن حضر قتل عثمان، وقيل أنه شارك في دمه، ونفى جماعة من أهل العلم والخبرة أنه شارك في دمه، وأنه لما قال له عثمان لو رآك أبوك لم يرض هذا المقام منك، خرج عنه وتركه، ثم دخل عليه من قتله، قيل أنه اشار على من كان معه فقتلوه)[1].

وذكر الكشي في رجاله أن محمد بن أبي بكر حضر قتل عثمان، فقال له عثمان: لو رآك أبوك لم يرض هذا المقام منك[2].

وذكر الذهبي أن عائشة خرجت باكية تقول: قتل عثمان وجاء علي عليه السلام إلى امرأة عثمان، فقال لها: من قتله؟

قالت: لا أدري .. وأخبرته بما صنع محمد بن أبي بكر.

ويذكر أنَّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام سأل محمد بن أبي بكر عن ذلك، فقال له: تكذب، قد والله دخلت عليه، وأنا أريد قتله، فذكر لي أبي، فقمت، وأنا تائب إلى .. والله ما قتلته ولا أمسكته.

فقالت: صدق، ولكنه أدخل اللذين قتلاه[3].

يتضح من هذه الرواية التي أوردها الكشي، أن محمداً برئ من دم عثمان، وإن قال بعض الناس أن محمد بن أبي بكر ليس بهذه التربية بحيث يمسك رجلاً من بعمر أبيه من لحيته، فنقو ل لهم لأن عثمان بعد طغيانه قد سقط منه كل احترام، ولا يخالف الأدب إهانة الظالم الفاسق سواء كان كبيراً أو صغيراً.. وكذلك أنه حينما دخل عليه لا بنية القتل، ولكن أراد أن يبين له أن بطانة السوء التي تحيط به سببت له هذا الموقف الذي لا تحمد عقباه.

والشيء الأهم أن بعض الذين كتبوا عن هذه الحادثة قالوا: أن عثمان ناشده بأبيه وكان يعني أمير المؤمنين علي عليه السلام لكن قد يعتقد البعض أن المقصود إنما هو أبوه أبو بكر كما تفصح ذلك

---

١ . معجم الصحابة: ٤٥٩١/١٣.

٢ . رجال الكشي: ١٣٤ الهامش.

٣ . رجال الكشي: ١٣٤ الهامش.

الرواية، أي رواية من الروايات تفصح بأن المقصود بأبيه هو أبو بكر وليس الإمام علي عليه السلام، حيث لم نجد ما يدل على ترجيح أبو بكر بشكل واضح فيها.

وذكر الغزالي قائلاً: (فأول داهية عثمان كانت من توقيع محمد بن أبي بكر وهي مذكورة في سير الناس يتداول بها القصاص[١].

وقال ابن عبد البر: (كان محمد بن أبي بكر أخذ على عثمان وخرج عليه، والصحيح أنه لم يقتله، ولم يشترك في قتله، بل أنه دخل على عثمان في الدار ذكره بمكانته من أبيه، فخرج عنه نادماً على فعله)[٢].

أما ابن كثير فقد ذكر أن محمداً لما دخل على عثمان قال له عثمان: مهلاً يا بن أخي فو الله لقد أخذت مأخذاً ما كان أبوك ليأخذ به، فتركه وانصرف مستحيياً نادماً، فاستقبله القوم على باب الصفة فردهم طويلاً فدخلوا وخرج محمد راجعاً[٣].

وذكرت بعض الروايات أن محمد بن أبي بكر شارك في قتل عثمان أو قتله، فقال ابن كثير بعد ذكرها (والصحيح أن الذي فعل ذلك غيره، وأنه استحى ورجع حيث قال له عثمان: لقد أخذت بلحية كان أبوك يكرمها، فتندم من ذلك وغطى وجهه، ورجع وحاجز دونه فلم يقدر، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً)[٤].

ومما جاء عن مركز الفتوى للانترنت: فقد ثبت أن محمداً بن أبي بكر لم تقع التهمة عليه في دم عثمان .. والذي قتل عثمان هو كنانة بن بشر التجيبي[٥].

ويذكر ابن سعد أن الحسن البصري قال: أنبأني وثاب أنه قال: بعثني عثمان فدعوت له الأشتر، فجاء فقال عثمان (يا اشتر، ما يريد الناس مني؟) قال : (ثلاث ليس لله إحداهن بد): قال ما هنَّ؟

---

١ . سر العاملين، كشف ما في الدارين، لأبي حامد الغزالي: ٢٠.
٢ . معجم الصحابة، ابن عبد البر: ٤٥٢٣/١٣.
٣ . البداية والنهاية، ابن كثير: ٧٢/٢.
٤ . المصدر نفسه: ٧٧/٢.
٥ . المصدر نفسه: ٢١١/٧.

قال: يخبرونك أن تخلع لهم امرهم، فتقول: هذا أمركم فاختاروا له من شئتم، وبين أن تقص من نفسك، فإن أبيت هاتين فإن القوم قاتلوك.

قال: أما من أحداهن بد؟

قال: لا ما من إحداهن بدُّ.

لكن عثمان رفض ما قال له الاشتر، فحينما خرج مالك بن الأشتر جاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلاً حتى انتهى إلى عثمان وقال وثاب، فأنا رأيت استعداد رجل من القوم بعينه فقام إليه بمشقص حتى وجأه به في رأسه، ثم غاروا والله عليه حتى قتلوه[١].

ويقال أنَّ الحسن البصري، كان شاهد عيان على قتل عثمان أنه سئُل: أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار؟ قال: كانوا أعلاجاً من أهل مصر[٢].

والذي ينعم النظر فيما نقل عن الحسن البصري يجد تناقضاً في أقواله بشكل ملفت للنظر فمرة يتهم محمد بن أبي بكر في قتله ومرة يبرئه من دمه حينما قال: كانوا أعلاجاً من أهل مصر، وهذا التناقض لا يجعل اطمئناناً إلى أقواله لكي يؤخذ بها.

وقال عبد الله بن شقيق: أول من ضرب عثمان، رومان اليماني بصولجان[٣].

ونقل عن كنانة مولى صفية بنت حيي، وكان من شهد يوم الدار، دار عثمان، أنه لم ينل محمد بن أبي بكر من دم عثمان[٤].

وقال كنانة مولى صفية: رأيت قاتل عثمان رجلاً أسود من أهل مصر، وهو في الدار رافعاً يديه يقول: أنا قاتل نعثل[٥].

وأورد ابن حجر من طريق كنانة مولى صفية، أنه قال: (قد خرج من الدار أربعة نفر من قريش مضروبين محمولين، كانوا يدرؤون عن عثمان) فذكر الحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، وابن حاطب، ومروان بن الحكم.

قلت: فهل تدمى محمد بن أبي بكر من دمه بشيء؟

---

١ . طبقات ابن سعد: ٧٣/٣.

٢ . تاريخ خليفة: خليفة بن خياط: ١٧٦.

٣ . المصدر نفسه: ١٧٥.

٤ . الاستيعاب لهامش الإصابة: ١٧٦/١٠.

٥ . مسند ابن الجعد: ٩٥٨/٢ ـ ٩٥٩.، طبقات ابن سعد: ٨٣/٣ ـ ٨٤.

قال معاذ الله ودخل عليه فقال له عثمان:
لست بصاحبي وكلمه بكلام فخرج ولم يزر من دمه بشيء؟
قلت فمن قتله؟
قال: رجل من أهل مصر يقال له جبلة، فجعل يقول:
أنا قاتل نعثل.
قلت: فأين عثمان يومئذ؟
قال: في الدار[1].

وروماً للإيجاز والتركيز على موضوع محمد بن أبي بكر نحيل القارئ إلى قائمة المصادر التي ذكرت في ثبت المصادر والمراجع للإطلاع على أعمال عثمان التي خالف فيها سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وأعمال بطانته التي لا تمت للإسلام بشيء وإنما تدل على حقدهم وبغضهم للرسول محمد صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام وكل ما هو سامٍ ونبيل.

---

١ . المطالب العالية، ابن حجر: ٢٩٢/٤ ـ ٢٩٣، الاستيعاب، لابن عبد البر: ١٠٤٤/٣ ــ ١٠٤٥، ١٣٦٧/٣.

المبحث الثاني

ولايته على مصر:

ولى أمير المؤمنين قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي المدني على مصر في مستهل شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين للهجرة، وكان قيس ضخماً جسيماً طويلاً، سيداً مطاعاً كثير المال، جواداً كريماً، يعد من دهاة العرب، وكان من أصحاب لواء الرسول صلى الله عليه وآله[1].

دخل قيس مصر فمهد أمورها، واستمال الخارجية بخربتا* من شيعة عثمان، ورد عليهم أرزاقهم، ولكن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أبى آلا أن يقاتل قيس الخارجة، لكنَّ قيساً لم يقتنع بحربهم، فكتب إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام: (إن كنت تتهمني فاعزلني وابعث غيري).

وقد أشاع المندسون أن قيساً يتعاون مع معاوية، وأن محمد بن أبي بكر (ساعد في إشاعة الشائعة لحبه مصر أو لإمرتها، وعبد الله بن جعفر، فما زالا بعلي حتى كتب لقيس بن سعد يأمره بالقدوم عليه، وعزله عن مصر)[2] وكان عزله خامس رجب من سنة سبع وثلاثين ولي عليها الاشتر النخعي[3].

ومن يستقرئ مجرى الأحداث في هذه الفترة وسيرة الرجلين محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن جعفر، سيستدل دلالة واضحة وقاطعة بأن هذا الكلام بعيد عن الصحة والواقع من جوانب كثيرة منها:

١. أن رجال الإمام علي عليه السلام ينطوي كل واحد منهم على إخلاص وتفانٍ سواء قيس بن سعد أم محمد بن أبي بكر أم عبد الله بن جعفر، فليس من أخلاقهم ولا من تربيتهم ولا من صفتهم الخيانة أو الطعن أو الوشاية والنميمة كما إن نقل الشيء لم يكن واقعاً عن رجل فذ مؤمن بالله تعالى ورسوله ووصيه مثل قيس بن سعد لا

---

١ . ولاة مصر: ٤٤، خطط المقريزي: ٣٠٠/١، حسن المحاضرة: ٤/٢، النجوم الزاهرة: ١٢٥/١.

* . الخارجية، وهم من شيعة عثمان ومنهم معاوية بن حديج وكانوا المحرك الأساس للصراعات والقلاقل في مصر.

٢ . النجوم الزاهرة: ١٢٧/١.

٣ . المصدر نفسه: ١٢٧/١ ـ ١٢٨.

يمكن أن يصدر من محمد بن أبي بكر الذي كان يلقب بعابد قريش لشدة تقواه وعبادته.

٢. أن أمير المؤمنين باب علم الرسول محمد صلى الله عليه وآله وقد رباه الرسول أفضل وأحسن تربية وخبر الناس وعرف طبائعهم وما ينطوون عليه وما يضمرونه أو يبيتونه ولا يمكن أن يجهل أخلاق شخص قريب إليه ويحبه ويحترمه ويقدره مثل قيس بن سعد.

٣. أن أمير المؤمنين لولا ثقته بقيس بن سعد وتقديره له ما ولاّه على مصر التي تتطلب من يتولاها رجلاً جديراً بها في مثل هذه المرحلة الخطرة جداً.

٤. أن الإمام علي عليه السلام أراد أن يضع حداً لما كان يكيده معاوية وعمر بن العاص للإيقاع بقيس بن سعد، وما دام قيس والياً فإن شر هؤلاء ومؤامراتهم لا تتوقف ولا تنقطع، كما وأن هؤلاء الخارجة الذين لا مذهب لهم ولا ضمير، ولا يراعون حرمة الإسلام والمسلمين سرعان ما يخونون العهد الذي أعطاه لهم (قيس بن سعد)، فكان حرص الإمام علي عليه السلام على حفظ الدين من هؤلاء الخارجة هو الذي دعا الإمام عليه السلام إلى مطالبة قيس بمحاربتهم وتحجيم دورهم ومآمراتهم على الإسلام والمسلمين.

فلذلك ارتأى أمير المؤمنين أن يحر ص على حياة هذا البطل المجرب والصحابي الجليل، لمحبته له ولحمايته من مكائد هؤلاء، فاستدعاه ليكون جواره، لكن قيس بن سعد لم يدرك ذلك إلا بعد فترة طويلة من عزله.

٥. وكذلك عرف عن محمد بن أبي بكر أنه رجل يعمل لآخرته لا لدنياه، وأغلب المصادر المعتبرة لم تذكر عنه إلا الورع والزهد، والاستقامة والعبادة، والإخلاص في دينه، فلا يعقل أن يسعى إلى طلب زخارف الدنيا ويبيع آخرته بدنياه، وقد عرف عنه أنه محب أن يكون بقرب ربيبه ومربيه أمير المؤمنين علي عليه السلام وخدمته والمثول بين يديه، فكان ذلك أحب إليه من الولاية والابتعاد عن أخويه الحسن والحسين عليهم السلام في مثل هذه الظروف الحرجة التي تكالب فيها أعداء الإسلام والمسلمين لهدم صرح الإسلام وتمزيق رسالة السماء.

٦. أن أمير المؤمنين كان ينظر إلى المستقبل وقد رأى أن وجود قيس إلى جواره أجدى وأنفع من وجوده على ولاية مصر ويمكن أن

يبعث غيره ليقوم مقامه على أن يكون مثل هذا الإنسان الذي شهد له بالإخلاص والتفاني، وبعد النظر، والدهاء، حتى أنه روي عنه أنه قال: لولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (المكر والخديعة في النار لكنت من أمكر هذه الأمة)[1].

٧. كانت الخارجة العثمانية في خربتا قلة قليلة وهم أضعف بكثير من أصحاب قيس بن سعد وكان يمكن القضاء عليهم بسهولة والخلاص منهم وتحويل النصر إلى جماعة الإمام علي عليه السلام.

عزل أمير المؤمنين علي عليه السلام محمد بن أبي بكر عن ولاية مصر في خامس رجب من سنة سبع وثلاثين، وولى عليها مالك الأشتر النخعي[2]، لكن لخوف معاوية من البطل الهمام مالك الأشتر وبمشورة من عمر بن العاص تأمر عليه، وحرض على سمّه قبل ان يتسلم مهام الولاية في مصر.

فأبقى أمير المؤمنين محمد بن أبي بكر على ولاية مصر، فتلقاه قيس بن سعد المعزول بعد دخوله مصر، فقال له: (ليس عزله إياي بمانعي أن أنصح لك وله، وأنا من أمركم هذا علي بصيرة وإني أدلك على الذي كنت أميد به معاوية وعمراً، وأهل خربتا، فكايدهم به، فإنك أن كايدتهم بغيره تهلك)، لكن محمد بن أبي بكر خالفه في كل شيء أمره به[3]، وحتى أن محمداً خالف ما أوصاهُ به أمير المؤمنين علي عليه السلام في محاربتهم والقضاء عليهم في هذا الأمر فقط دون أن يقصد المخالفة أو عدم الطاعة نظراً للظروف التي عاشها فجعلته يتخذ هذا الموقف.

ومن يطلع على الحوار الذي دار بين معاوية وعمر بن العاص في المصادر والمراجع المعروفة لاسيما عند الفريق الآخر، سيجد:

أن حديث معاوية وعمر بن العاص يدور حول خراج مصر، وما سيجنيه الاثنان إذا صارت مصر بأيديهما ومما نقله الطبري في تاريخه والاتابكي في نجومه الزاهرة وغيرهم هو قول عمر بن العاص لمعاوية (أهمك أمر مصر وخراجها الكثير وعدد أهلها فتدعونا لنشير عليك

---

١ . النجوم الزاهرة: ١/١٢٥.
٢ . المصدر نفسه: ١/١٢٧.
٣ . النجوم الزاهرة: ١/١٤٠.

فيها..) فقال له معاوية (إنما أهمك الذي كان بيننا) يعني أنه كان أعطاه مصر لما صالحه على قتال علي [1].

نريد أن نقف على ما قاله عمر ومعاوية، ونتساءل بعيداً عن التعصب والتحزب وبعيداً عن كل شيء إلا معرفة الحق والوصول إليه.

ألا يثير هذا الحديث في نفس أي إنسان مهما كانت ثقافته ودرجة علميته ومعرفته تساؤلاً:

أهذان الرجلان يقاتلان من أجل الإسلام ونصرته أم من أجل المصالح الشخصية الدنيوية؟!!.

أهذان الرجلان يعرفان الله تعالى حقاً، ويريدان أن يدافعا عن رسالة السماء أم تهمهما مصلحتهم الدنيوية؟!!.

ألا يمتلك من يدافع عنهما ويعتبرهما مسلمين رجاحة عقل أو بعض الفطنة والإيمان بالله ليكشف زيف إدعائهم ليعرف ضلالتهم وحقدهم على الإسلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام!!

ثم أليس من الثابت في كتب الفريقين أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كان الذائد عن عثمان والمدافع عنه وأن عثمان يستعين به في تهدئة الثائرين، فكيف يتهم في قتله هو وجماعته وقد بعث ولديه الحسن والحسين عليهم السلام للدفاع عنه، وهذا ثابت وموجود في كتب التاريخ والسير والرجال جميعها؟!!.

فأي دم يطلبون ؟!! وأي قاتل يقاتلون؟!

والله لا يريدون إلا سفك دماء المسلمين وإشعال نار الفتنة بين المسلمين، والوقوف في وجه الحق، بوجه الإسلام والمسلمين، كان الأولى أن يقاتلوا بطانة عثمان الذين التفوا حوله وجعلوه يخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسنة أبي بكر وعمر، وكان مثل مروان بن الحكم من أبعده رسول الله صلى الله عليه وآله عن المدينة وبقي مبعداً في زمن الشيخين، فأتى به عثمان وجعله من أقرب المقربين إليه، فهل الله تعالى قد غضب عليهم وجرّدهم من العقل والفطنة والذكاء والضمير والوجدان؟.

أسأل الله تعالى أن يهدي أولئك الذين أضلوا سبيلاً إلى سبيل الحق ويغسل قلوبهم من الغلّ والحقد والكراهية على آل بيت رسول الله صلى

---

١ . المصدر نفسه: ١٤١/١.

الله عليه وآله وكل من يقف إلى جانبهم وليعرفوا أين يقف الحق فيمشوا صوبه، ويسلكوا دربه: (علي مع الحق والحق مع علي فأينما مال علي مال الحق معه).

حينما قدم محمد بن أبي بكر مصر قرأ كتاب أمير المؤمنين علي عليه السلام على أهل مصر وسنعرضه بعد ذلك.

استشهاده:

لما استقر محمد بن أبي بكر في مصر والياً عليها من قبل أمير المؤمنين علي عليه السلام ثقل ذلك الآمر على معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، لأنهما يعرفان شدة إيمان محمد بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله، وعظيم إخلاصه لأمير المؤمنين علي عليه السلام وكذلك منزلته عند أهل مصر.

وبعد تخاذل أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام في العراق لنصرة محمد بن أبي بكر، تخلخل الوضع السياسي في مصر، وكادت الأمور تفلت من يد محمد بن أبي بكر، فانتهز معاوية الفرصة وأرسل جيشاً طليعته أربعة آلاف رجل من أهل الشام فسار إلى مصر لمحاربة محمد بن أبي حذيفة فيها، فنزل عين شمس قبل قدوم قيس بن سعد بن عبادة أميراً عليها من قبل الإمام علي عليه السلام معالجاً دخول مصر، فلم يقدر على ذلك، فما زال عمرو بن العاص يخادع محمد بن أبي حذيفة حتى خرج إلى عريش مصر في ألف رجل فتحصن بها، وجاءه عمر بن العاص فنصب المنجنيق عليه حتى نزل في ثلاثين من أصحابه، فاعتقلوا وقتلوا جميعهم رحمهم الله.

بعد مقتل محمد بن حذيفة ضعف جانب محمد بن أبي بكر فالتقى جيش محمد القليل العدد، بجيش جرار من أهل الشام كان قد أعدَّه معاوية وعمرو بن العاص، فاقتتل الجيشان قتالاً شديداً ضارياً، اندحر جيش محمد بن أبي بكر بعد مقتل قائده كنانة بن بصير الذي أبلى بلاءً متميزاً في القتال وضرب أروع الأمثلة في التضحية والتفاني في إعلاء كلمة الحق والدفاع عن الإسلام ومبادئه وانهزم الباقون، ولم يبق من جيش محمد إلا قلة قليلة، ثم ما لبثت أن لاذت بالفرار، فبقى محمد وحيداً في الميدان، فقرر الانسحاب ودخل في مكمن خربة دار، فأخذ معاوية بن حديج يستقصي عنه أهل مصر حتى دله أحدهم عليه فوقع في الأسر، وكان قد هده العطش والتعب فطلب من معاوية بن حديج أن يسقيه الماء، فلم يعطه، وقال له: لا سقاني الله أن سقيتك قطرة أبداً، إنكم منعتم عثمان شرب الماء، والله لأقتلنك حتى يسقيك الله من حميم الغساق.

فقال له محمد: يا بن اليهودية النساجة، ليس ذلك إليك إنما ذلك إلى الله يسقي أولياءه، ويظمئ أعداءه أنت وأمثالك، أما والله لو كان سيفي بيدي ما بلغتم مني هذا فقال معاوية: أتدري ما أصنع بك؟ أدخلك في جوف حمار ثم احرقه عليك بالنار.

فقال محمد: إن فعلت بي ذلك فلطالما فعلتم ذلك بأولياء الله تعالى، وأني لأرجو أن يجعلها عليك، وعلى أوليائك ومعاوية وعمرو ناراً تلظى كلما خبت زادها الله سعيرا، فغضب منه وقتله ثم ألقاه في جيفة حمار ثم أحرقه بالنار[1].

وبعد أن قتل محمد بن أبي بكر بهذه الطريقة البشعة ظفر عمرو بن العاص بما كان بحوزة محمد من كتب ورسائل وعهود ومواعظ بما فيها رسالة الإمام عليه السلام له حين ولاه مصر، فلما اطلع عليها بعث بها إلى معاوية فذهل معاوية لما شاهد فيها من علوم ومعارف عرضها على أصحابه، فأشار عليه بإحراقها الوليد بن عقبة ــ الذي اعتلى المنبر مخموراً إبان خلافة عثمان[2] وصلى بالمسلمين أربع ركعات ثم التفت إليهم ساخراً وهو يقول: أفأزيدكم ــ إلا أن معاوية رفض إحراقها، وقال: لست من أهل الرأي، أويحرق مثل هذه الرسالة؟، لا بد أن نحفظها ونستفيد من مضامينها والمعارف فيعلمناها.

فقال الوليد: أمن الصواب أن تفهم الأمة إنك تقتدي بكتب علي وتعمل بمقتضاها؟

فأجابه معاوية: أفتشير عليَّ بإحراق علم فريد كالذي ورد في هذه الرسالة؟ والله لم أر حتى الآن علماً جامعاً ونافعاً كالذي رأيته في هذه الرسالة، فقال الوليد: إنك لا تتمالك نفسك أمام رسالة من رسائل علي التي تحكي جزءً من شخصيته فمالك تهب لقتاله ولا تمد يدك لبيعته؟

لم يجد معاوية من جواب منطقي لهذا السؤال سوى أنه لجأ إلى الهروب من الحقيقة وتبرير قتاله لعلي عليه السلام باتهامه بدم عثمان والمطالبة به، ثم قال: طبعاً سوف لن أخبر الناس بأن هذه رسالة علي،

---

١ . الكامل، ابن الأثير: ١٨٠/٣، معارف الرجال: ٢٤٤/٢ ـ ٢٤٥.
٢ . شرح نهج البلاغة: ١٨/٣.

بل سأقول لهم بأن أبا بكر قد كتب هذا الكتاب لولده محمد وضمنه هذه التعاليم العظيمة[1].

يروى أن الوليد قال لمعاوية: أفمن الرأي أن يعلم الناس علماً مثل هذا؟

فقال معاوية: والله ما سمعت بعلم هو أجمع منه، ولا أحكم، ثم نظر معاوية إلى جلسائه وقال: ألا لا تقولوا إن هذه من كتب علي بن أبي طالب ولكن قولوا من كتب أبي بكر عند أبنه محمد، فنحن ننظر منها ونأخذ منها، فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني أمية حتى ولي عمر بن عبد العزيز، فأظهر أنها من أحاديث علي بن أبي طالب[2].

أي إنسان ذو بصيرة وفطنة يقف عند هذه الرواية بأناة وروية وبعيداً عن التعصب والميول والأهواء ويعمل عقله قليلاً ويضع الله بين عينيه لا بد أن يستشف أموراً عدة منها:

١. حرص معاوية الشديد على الاستفادة من علم أمير المؤمنين عليه السلام واتخاذ ما كتبه الإمام منهاجاً له يسير عليه، ولكن بما يحقق مصالحه الذاتية قبل مصلحة الأمة، وحرصه الشديد على كيفية تحريف ما جاء فيه لتحقيق مصالحه، لذلك حزن أمير المؤمنين واشتد حزنه حينما بلغه أن كتاب العهد صار إلى معاوية بعد استشهاد محمد بن أبي بكر (رضي الله عنه).

٢. كيفية تحريف معاوية للحقائق، والكذب بلا حياء حينما نسب هذه الأقوال لأبي بكر، ويعد ذلك التحريف من أعماله الكثيرة في مثل هذه الأمور .. والغريب الغريب أن الكثير ممن غشيهم الباطل وحجب عنهم نور الحق يعدون هذه فضائل معاوية! العجب كل العجب، أما يخالف الشرائع السماوية والتعاليم الإسلامية الغش والخداع ومحاربة كل القيم السامية، أم إنها بنظرهم دهاء وفطنة وذكاء؟!.

ومن المؤرخين والباحثين من ذكر في مقتل محمد بن أبي بكر (رضوان الله تعالى عليه) أن عمرو بن العاص لما قتل كنانة أقبل نحو محمد

---

١ . شرح نهج البلاغة: ٧٢/٦.

٢ . معارف الرجال: ٢٤٢/٢ وما بعدها.

بن أبي بكر، وقد تفرق عنه أصحابه، فخرج محمد متمهلاً فمضى في طريقه حتى انتهى إلى خربة فأوى إليها.

وجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط، وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد حتى انتهى إلى علوج على قارعة الطريق فسألهم:

هل مر بكم أحدٌ تذكرونه؟

قالوا: لا.

قال أحدهم: إني دخلت تلك الخربة، فإذا أنا برجل جالس.

فقال ابن حديج: هو هو ورب الكعبة!

فانطلقوا يركضون حتى دخلوا الخربة فوجدوه، قد هده العطش فاقبلوا به نحو الفسطاط، فوثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص، وكان في جنده، فقال: لا والله لا يقتل أخي صبراً، ابعث إلى معاوية بن حديج فانهه.

فأرسل عمرو بن العاص: أن ائتني بمحمد.

فقال معاوية بن حديج: أقتلتم كنانة بن بشر ابن عمي وأخلي عن محمد هيهات (أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر).

فامتنع ابن حديج تسليم محمد بن أبي بكر.

فقال محمد للقوم: اسقوني قطرة ماء.

فقال له معاوية: لا سقاني الله إن سقيتك قطرةً أبداً إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محرماً، فسقاه الله من الرحيق المختوم، والله لأقتلنك يا بن أبي بكر، وأنت ضمآن ويسقيك الله من الحميم والغسلين فقال له محمد: يا بن اليهودية النساجة ليس لك ذلك اليوم إليك ولا إلى عثمان، إنما ذلك إلى الله يسقي أولياءه، ويظمئ أعداءه، وهم أنت وقرناؤك ومن تولاك وتوليته، والله لو كان سيفي في يدي ما بلغتم مني ما بلغتم.

فقال معاوية: أتدري ما أصنع بك؟ أدخلك جوف هذا الحمار الميت ثم أحرقه عليك بالنار[1].

---

١ . شرح نهج البلاغة: ١٨/٣. لقد أعدنا ذكر قصة محمد بن أبي بكر مع معاوية بن حديج لما فيها من معاني وعبر يمكن أن نستخلصها منها، هذا وفيها شيء من الزيادة على الرواية التي ذكرناها.

قال: إن فعلتم ذاك بي فطالما فعلتم ذاك بأولياء الله، وأيم الله! إني لأرجو أن يجعل اللهُ هذه النار التي تخوفني بها برداً وسلاماً كما جعلها الله على إبراهيم خليله وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وأوليائه، وإني أرجو أن يحرقك الله، وإمامك معاوية وهذا ــ أشار إلى عمروا بن العاص ــ بنار تلظى كما خبت زادها الله عليكم سعيراً، فقال له معاوية: إني لا أقتلك ظلماً، وإنما أقتلك بعثمان بن عفان.

قال له محمد: وما أنت وعثمان؟ رجل عمل بالجور وبدل حكم الله والقرآن، وقد قال الله عز وجل بسم الله الرحمن الرحيم:

(وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ).

(فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ).

(فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ).

فنقمنا عليه أشياء عملنا، فأردنا أن يخلع من الخلافة عنا فلم يفعل، فقتله من قتله من الناس.

فغضب معاوية بن حديج فقدمه فضرب عنقه، ثم ألقاه في جوف حمار، وأحرقه بالنار[1].

ذكر بعضهم أنه لما انهزم المصريون، اختفى محمد بن أبي بكر في بيت امرأة من غافق آواه فيه أخوها، وكان الذي يطلبه معاوية بن حديج، فلقيتهم أخت الذي كان أواه في بيتها، كانت ناقصة العقل، فظنت أنهم يطلبون أخاها، فقالت: أي شيء تلمسون؟ ابن أبي بكر أدلكم عليه على أن لا تقتلوا أخي.

قالوا: نعم، فدلتهم عليه.

فقال معاوية بن حديج: قتلت ثمانين رجلاً من قومي في دم عثمان، وأتركك وأنت صاحبه، فقتله ثم جعله في جوف حمار ميت وأحرقه بالنار[2].

---

١ . شرح نهج البلاغة: ٨٦/٦ ـ ٨٨، الغدير: ٦٤/١١، مواقف الشيعة، علي الأحمدي الميانجي: ٥٢٠/٢، مؤسسة النشر الإسلامي/قم/١٣٨٥.

٢ . تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزّي (٦٥٤ ـ ٧٤٢هـ) تحقيق الدكتور بشار عواد معروف مؤسسة الرسالة /لبنان ١٤٢٢ هـ ــ ٢٠٠٢م.

حدثنا عبد الله بن جعفر ذو الجناحين، قال: لما جاء أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب صلوات الله عليه مصاب محمد بن أبي بكر ــ وساق الكلام إلى إن قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام ــ فلوددت أني وجدت رجلا يصلح لمصر، فوجهته إليها. فقلت: تجد. فقال: من. فقلت: الأشتر. فقال: أدعه لي. فدعوته فكتب له عهده وكتب معه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إلى الملا من المسلمين الذين غضبوا لله حين عصي في الأرض وضرب الجور بأوراقه على البر والبحر، فلا حق يستراح إليه، ولا منكر يتناهى عنه، سلام عليكم، أما بعد فإني قد وجهت إليكم عبداً من عباد الله، لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء، حذار الدوائر، أشد على الفجار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث الأشتر أخو مذحج، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنه سيف من سيوف الله، لا يأتي الضريبة ولا كليل الحد، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، وإن أمركم أن تحجموا فأحجموا، فإنه لا يقدم إلا بأمري، فقد أمرتكم به على نفسي، لنصيحته لكم، وشدة شكيمته على عدوكم، عصمكم ربكم بالهدى وثبتكم باليقين[1].

---

١ . معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ١٦٨/١٥، نهج السعادة: الشيخ المحمودي: ٥٢/٥.

خبر مقتل محمد بن أبي بكر:

أ. أثره على أمير المؤمنين علي عليه السلام:

قدم عبد الرحمن بن المسيب، وكان عيناً للإمام علي عليه السلام في الشام، وأخبره أنه لم يخرج من الشام حتى قدمته البشرى من قبل عمرو بن العاص بفتح مصر، وقتل محمد بن أبي بكر، ثم قال له: يا أمير المؤمنين ما رأيت يوماً سروراً مثل سرور رايته بالشام حين أتاهم خبر قتل محمد.

فقال الإمام علي عليه السلام: أما أن حزننا على قتله على قدر سرورهم له، لا بل يزيد إضعافاً.

ومما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في استشهاد محمد بن أبي بكر (رحمه الله) (إن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمة الله عليه، وعند الله نحتسبه).

وقيل للإمام عليه السلام: لقد جزعت على محمد بن أبي بكر جزعاً شديداً، فأجاب: وما يمنعني أنه كان لي ربيباً، وكان لبني أخاً، وكنت له والداً أعده ولداً[1].

ب. أثره على أمه أسماء:

لما قتل محمد بن أبي بكر على يد أعداء الله والحياة بهذه الطريقة البشعة ومثّل به، سمعت أمه أسماء بقتله بهذه الطريقة البشعة فكظمت غيظها حتى شخبت ثدياها دماً[2].

---

١ . مروج الذهب: ٤٢٠/٢، الكامل في التاريخ: ١٨٠/٣.

٢ . المصدرين، نفسهما.

جـ. أثره على عائشة:

أما أثر خبر مقتل محمد على عائشة فكان عظيماً، فقد وجدت عليه وجداً عظيماً، فأخذت ابنه القاسم وتربى بفضل الله تعالى أحسن تربية فكان عالماً فقيه أهل المدينة بل فقيه أهل الحجاز، وكان من خواص الإمام زين العابدين عليه السلام من ذريته، وله ابنة تسمى (أم فروة) تزوجها الإمام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام وهي والدة الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام توفي سنة (١٠١هـ) وله من العمر اثنان وسبعون سنة[١].

وذكر عنها أنه حينما جاءها خبر مصرعه بهذه الطريقة اللاإنسانية البشعة (أحرق في جوف حمار ميت) حزنت كثيراً ولم تقرب إلى لحم مشوي حتى وافاها الأجل[٢].

---

١ . معارف الرجال: ٢٤٨/٢.

٢ . الغارات، إبراهيم الثقفي: ٧٥٨/٢.

الفصل الثالث

المبحث الأول:

- أخباره
- مرقده
- ما قيل فيه

المبحث الثاني:

- الخطب والمراسلات

المبحث الأول

أخباره:

لقد شهد المسلمون في خلافة عثمان ما لم يشهدوه منذ بداية الدعوة الإسلامية من خلاف أدى إلى تمزيق وحدتهم منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله فلقد اتهم أغلب المسلمين عثمان بمخالفة رسول الله صلى الله عليه وآله وتغيير سيرة الخلفاء الذين سبقوه لذا اسقطوا عدالته وأبلغوه بترك الخلافة، بعد أن قرّب من أبعدهم رسول الله عليه السلام، والخلفاء الذين جاءوا بعده، وأثارة قومه على أخلص صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهدى لأقربائه القسم الأكبر من غنائم المسلمين في الحروب.

بلغت الأحداث ذروتها حينما أرسل كتاباً إلى واليه في مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح بمعاقبة وفد مصر الذين اسكنوه عندهم، وحينما وقع الكتاب بيد المسلمين، لم يصبروا على عثمان.

لقد أثرت هذه الأحداث على نفسية محمد بن أبي بكر، وساهمت في صياغة نفسيته، وأضافت له خبرة كبيرة في معرفة دقائق الأمور.

لقد اتضحت أمامه الأمور وعرف من يقف مع الإسلام الحنيف ويحاول إبقاء تعاليمه كما أرادها رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن يحاول أن يحرف الدين الإسلامي والخروج على تعاليم الشارع الإسلامي وتشويه قيمه وأفكاره بل والقضاء عليه، كما رأى ظلم بني أمية لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبغضهم له، فنسبوا إليه ثورة الثائرين، على الرغم من دفاعه عليه السلام عن عثمان وقومه، ومنعه عليه السلام للثائرين من الإساءة إليه حتى أنه أمر الحسن والحسين عليهم السلام بحراسة دار عثمان .. هذه الأحداث فجرت في نفس محمد بن أبي بكر روح الحماس وروح الإيمان الراسخ في داخله، فاتخذ على عاتقه دور التغيير لإرجاع الحق إلى نصابه، فاتهم من بين من اتهم ظلماً بقتل عثمان.

حينما قدم محمد بن أبي بكر مصر والتقى بـ(قيس بن سعد) فنصحه بأن يترك العثمانية وشأنهم ولا يتعرض لهم اتقاء شرهم لأنهم كافيه شرهم كما هو فعل .. وكان الإمام علي عليه السلام لا يقبل بذلك وقد أمر

قيس أن يقاتلهم لكن قيس كتب كتاباً إلى أمير المؤمنين عليه السلام يخبره بالموقف في مصر، وهذا نص كتابه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فإني أخبر أمير المؤمنين عليه السلام أكرمه الله أن قبلي رجالاً معتزلين قد سألوني في أن أكف عنهم وأن أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس فترى ويروا أيهم، فقد رأيت أن أكف عنهم وألا أتعجل حربهم وأن أتألفهم فيما بين ذلك لعل الله عز وجل أن يقبل قلوبهم ويفرقهم عن ضلالتهم إن شاء الله.

فكتب أمير المؤمنين عليه السلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فسر إلى القوم الذين ذكرت فإن دخلوا فيما دخل المسلمون وإلا فناجزهم أن شاء الله.

ولم يتمالك قيس بن سعد أن كتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

(أما بعد يا أمير المؤمنين فقد عجبت أمرك أتأمرني بقتال قوم كافين عنك مفرغين لقتال عدوك، وإنك متى حاربتهم ساعدوا عليك عدوك فاطعني يا أمير المؤمنين واكفف عنهم فإن الرأي تركهم والسلام).

فبعث الإمام علي عليه السلام محمد بن أبي بكر وعزل عنها قيس بن سعد[1].

فالذي يقرأ الخبر سريعاً دون الوقوف عليه وتمحيصه بروية وأناة ربما يجد أن قيس بن سعد قد كانت وجهة نظره صحيحة، ولو ترك هؤلاء لما سقطت مصر ولتغير الحال ولكن قراءة الأحداث بشكل متأنٍ والنظر إليها بنظرة ثاقبة يرى أن أمير المؤمنين عليه السلام كان ينظر إلى الأمور نظرة الخبير العالم بخفايا الأمور وأن قيس بن سعد قد أخطأ في تقديره للأمور:

١. أن العثمانية في خربتا كانوا أكثر الناس كرهاً لأمير المؤمنين علي عليه السلام ولا يمكن أن يكفوا شرهم عنه وعن أصحابه.
٢. استطاع هؤلاء أن يخدعوا قيس بن سعد ويظهروا له خلاف ما يضمرون فانطلت خديعتهم على قيس بن سعد واستغلوا فرصة

---

١ . أعيان الشيعة: ٤٣٢/٢.

السكوت عنهم لتمرير مخططاتهم وإقناع أهل مصر البعيدين عن الأحداث بأن يكونوا ضد ولاة أمير المؤمنين علي عليه السلام.

٣. أن هؤلاء المعتزلين كانوا قلة وكان بالإمكان محاربتهم والقضاء عليهم وبالقضاء عليهم توحيد قوى أهل مصر للوقوف بوجه معاوية وعمر و بن العاص .. وكان أكثر ما يخشاه معاوية وعمرو بن العاص القضاء على الخارجيين من أهل خربتا لأنه بالقضاء عليهم توحيد أهل مصر وجعلهم قوة ضاربة ضد معاوية وجيشه.

٤. إن إرسال معاوية رسائل إلى قيس بن سعد يريد بذلك أن يستميله إلى جانبه .. وقد غاب عن ذهن قيس أن هذه الرسائل التي يرسلها معاوية له إنما تعبر عن خوفه وضعفه، وأنه غير قادر على أن يفتح جبهة أخرى ضده، فاستغل بذلك معاوية عامل الوقت ضد قيس وجعله لصالح أهل خربتا وكان متفائلاً جداً بأن عمله هذا إنما هو لصالحه ولصالح أهل مصر ولصالح أمير المؤمنين عليه السلام.

لقد ارتكب قيس بن سعد خطأ فادحاً حينما عصى أو تهاون في تنفيذ ما طلبه منه أمير المؤمنين علي عليه السلام فقد أمره عليه السلام بقتال هؤلاء الخارجيين واستأصال شأفتهم كي لا يشكلوا فيما بعد أي تهديد لولايته.

وكان من الواجب على قيس بن سعد أن يطيع أمير المؤمنين عليه السلام ولا يعصي أمره ويقاتل هؤلاء الخارجيين، و لا يقدم رأيه على رأي أمير المؤمنين عليه السلام وهو المعروف بولائه الشديد لأهل البيت عليهم السلام ولو قاتل قيس الخارجيين في خربتا لأصبح معاوية في أحرج موقف ولسهل القضاء عليه.

أما محمد بن أبي بكر الذي استلم ولاية مصر من قيس بن سعد، لم يكن هو الآخر قد أحسن التصرف لقلة خبرته في مثل هذه الأمور، فهو تهاون بعض الشيء في قتالهم لأن أمير المؤمنين علي عليه السلام قد أرسل لمناجزتهم القتال فور وصوله إلى مصر لكنه لم يفعل ذلك، وكل ما فعله هو استفزازهم حينما أبى أن يهادنهم، وأعطاهم بذلك الفرصة واستعدوا لمواجهته عسكرياً وكان على محمد بن أبي بكر أن ينفذ توصيات أمير المؤمنين علي عليه السلام بكل دقة ويقاتلهم لأنه أكثر الناس معرفة بالإمام بعد الحسن والحسين عليهم السلام.

وكان من المفروض على محمد بن أبي بكر إن لم يقاتلهم فور وصوله أن يطوقهم عسكرياً، ويمنع تغلغلهم بين أهالي مصر وبث الدعاية الخبيثة ضد أمير المؤمنين علي عليه السلام وبأنه سبب مقتل عثمان، وأن عثمان قتل مظلوماً أثناء الصلاة وغير ذلك .. كما وأن للحصار العسكري آثاراً إيجابية كثيرة.

إن المتتبع للأحداث يجد أن أهل العراق قد خذلوا أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد أن طلب منهم إغاثة محمد بن أبي بكر، فلم يخرج أحد استجابة لطلبه فقام فيهم خطيباً وقال:

(أما بعد، فإن هذا صريخ محمد بن أبي بكر، وإخوانكم في مصر، قد سار إليها ابن النابغة عدو الله، وولي من عادى الله، فلا يكون أهل الضلال إلى باطلهم والركون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعاً منكم على حقكم هذا، فإنهم قد بدأوكم وإخوانكم بالغزو، فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر، عباد الله أن مصر أعظم من الشام، أكثر خيراً، وخيرٌ أهلاً فلا تغلبوا على مصر، فإن بقاء مصر في أيديكم عزّكم، وكبت لعدوكم، أخرجوا إلى الجرعة بين الحيرة والكوفة، فوافوني بها هناك غداً إن شاء الله تعالى) لكنه لم يوافه أحد من العراقيين[1].

لقد كان أهل خربتا المحرك الأساس للصراعات التي حدثت في مصر والقلاقل وقد استغلهم معاوية في إثارة القلاقل في مصر ضد ولاة الإمام علي، وحينما استلم محمد بن أبي بكر من قيس بن سعد ولاية مصر طلب منه الإمام علي عليه السلام إن يعمل على مناجزتهم القتال لأنه أرسل بالأساس لهذا الغرض وعدم إعطائهم الفرصة، وأمره بعدم تسويفه في معالجة الأمور.

فبعد أن وصل كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص يرد فيهما بما قالاه، وينتدب لقتالهما، ثم قام خطيباً في الناس، لحضهم فيه على جهاد أعداء الله، وبعد أن خطب في أهل مصر انتدب معه نحو ألفي رجل، وخرج محمد بن أبي بكر في ألفي رجل، وكان على رأس جيش الشام عمرو بن العاص.

---

١ . الغارات: ٢٩٠/١.

والتقى الجيشان ودارت بينهما معركة عظيمة، فكانت الغلبة في البداية لجيش محمد إلا أن عمرو بن العاص استنجد بجيش الشام، فجاءه المدد وكان يفوق جيش محمد أضعافاً، فاحتوشوا جيش محمد من كل مكان وقتلوا معه رجاله، وفرّ الباقون، واستشهد البطل الهمام بشر بن كنانة، وفرّ محمد بن أبي بكر، ثم ألقي القبض عليه كما ذكرنا من قبل معاوية بن حديج، فقتله ثم جعله في جوف حمار فأحرقه.

مرقده:

يقع مرقد محمد بن أبي بكر في مصر خارج مدينة الفسطاط* بموضع يعرف بـ(كوم شريك)** وهو عامر بالزوّار، وإلى جنبه مسجد يعرف بـ(مسجد زمام) حيث دفنت جثته مع رأسه.

وقيل أن جماعة من المسلمين اقبروا جثته، وبنوا عليها دكة حيث كانوا يعرفون صلابة إيمانه وتشيعه وصدق حديثه، وحسن تربيته، وشخصيته في الإسلام[1].

ومنهم من ذكر أن له قبراً به رأسه بقرية (ميت رمسيس) التابعة لمركز أخا بالقرب من المنصورة[2].

---

* . أول مدينة أسسها العرب في مصر نحو سنة ٦٤٣هـ على ضفة النيل الشرقي، وكانت من المدن الزاهدة حتى تأسيس القاهرة بدأت بالتقهقر بعد أن قضى على حيويتها الطاعون الذي اجتاحها سنة ١٣٤٨هـ تقوم على أنقاضها اليوم امبابه (ينظر: معجم البلدان: ١١٨/١، منجد الأعلام: ٤١٤).

**. كوم شريك: قرية الإسكندرية، معجم البلدان: ٤٩٥/٤.

١ . http: www.tabrizi. Org

٢ . المصدر نفسه.

ما قيل فيه:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يرجع أبو بكر صالحاً فيلقى أسماء فتحمل منه أسماء بغلام تسميه محمداً يجعله الله تعالى غيظاً على الكافرين والمنافقين)[١].

ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حينما قيل له عليه السلام قد جزعت على محمد جزعاً شديداً يا أمير المؤمنين، فقال: (وما يمنعني أنه كان لي ربيباً وكان لبنيّ أخاً، وكنت له والداً، أعدهُ ولداً)[٢].

وقال عليه السلام: (كان لي ربيباً، وكان لبنيّ أخاً، وكنت له والداً أعده ولداً)[٣].

وقال عليه السلام: (محمد ابني من صلب أبي بكر)[٤].

وقال عليه السلام: (إن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمة الله عليه، فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً، وعاملاً كادحاً، وسيفاً قاطعاً، وركناً دافعاً)[٥].

كتاب الإمام علي عليه السلام إلى أهل مصر:

قال عليه السلام: (أحسنوا أهل مصر مؤازرة محمد أميركم، واثبتوا على طاعته تردوا حوض نبيكم صلى الله عليه وآله أعاننا الله وإياكم على ما يرضيه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) [٦].

لما سمع الإمام عليه السلام بخبر استشهاده تأثر عليه وقال فيه: (لقد كان إليَّ حبيباً، وكان لي ربيباً، فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً، وعاملاً كادحاً وسيفاً قاطعاً، وركناً دافعاً) [٧].

وقال عليه السلام: (إنه كان لي ولداً، ولولدي وولد أخي أخا) [٨].

---

١ . الغارات: ٢٨٨/١.
٢ . المصدر نفسه: ٣٠١/١.
٣ . مروج الذهب: ٤٢٠/٢، الكامل: ١٨٠/٣.
٤ . معارف الرجال: ٢٤٦/٢ظ، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٥٣/٦.
٥ . مروج الذهب: ٤٢٠/٢.
٦ . الأمالي: الشيخ المفيد: ٢٦٩.
٧ . الغارات: ٢٩٨/١، شرح نهج البلاغة: ٩٢/٦، أنساب الأشراف: ٤٠٥/٢.
٨ . رجال الكشي: ١٣٦.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (كان عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر لا يرضيان أن يعصى الله عز وجل)[١].

وعن زرارة بن أعين عن أبي جعفر الصادق عليه السلام: أن محمد بن أبي بكر بايع علياً عليه السلام على البراءة من أبيه[٢].

وعن شعيب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ما من أهل بيت إلا ومنهم نجيب من أنفسهم، وانجب النجباء من أهل (بيت سوء) محمد بن أبي بكر[٣].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: كانت النجابة من أسماء بنت عميس رحمة الله عليها لا من قبل أبيه[٤].

قال الإمام الكاظم عليه السلام: (إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين حواريو محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لم ينقضوا العهد ومضوا عليه؟ فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذر.

ثم ينادي: أين حواريو علي بن أبي طالب عليه السلام وصي محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي، ومحمد بن أبي بكر، وميثم ابن يحيى التّمار مولى بني أسد، وأويس القرني)[٥].

وقال العلامة الحلي في خلاصة الأقوال: (جليل القدر، عظيم المنزلة، من خواص علي عليه السلام)[٦].

قال ابن حجر: (أبو القاسم له رؤية .. وكان علي عليه السلام يثني عليه)[٧].

وقال ابن عبد البر: (كان علي عليه السلام يثني عليه ويفضله، وكانت له عبادة واجتهاد ..)[٨].

---

١ . تاريخ اليعقوبي: ١٩٤/٢، أنساب الأشراف: ١٧٣/٣.
٢ . الاختصاص: ٧٠.
٣ . روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ٢٨٦.
٤ . ينظر: ttp: almofeeda.jeeran.com-abi bakr.htm
٥ . الاختصاص: ٦١، الاستيعاب: ١٣٦٧/٣.
٦ . ينظر: خلاصة الأقوال: ٢٣٦، منتهى الطلب، العلامة الحي: ٤٣٧/٢، موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة.
٧ . تقريب التهذيب: ٤٧٠.
٨ . معجم الصحابة: ٩٦٨/١٣.

وقال البرقي: (محمد بن أبي بكر من الحواريين للإمام علي عليه السلام وأصفيائه ومن السابقين والمقربين وكان ذا فضل وعبادة)[١].

قال صاحب أسد الغابة: (كان له فضل عبادة، وكان علي يثني عليه)[٢].

قال الشيخ علي النمازي الشاهرودي في مستدركات علم الرجال: (هو من حواري أمير المؤمنين عليه السلام .. ومن خواصه، ومن الأصفياء، ومن السابقين المقربين)[٣].

قال المسعودي وكذلك ابن قتيبة:

(وكان محمد مجداً في الجهاد والعبادة، ولجده في عبادته سمي عابد قريش)[٤].

وقال ابن أبي الحديد: (كان محمد من نسّاك قريش) [٥].

وقال: (كان محمد ربيبه وخريجه، وجارياً عنده مجرى أولاده، رضع الولاء والتشيع منذ زمن الصبا، فنشأ عليه) [٦].

قال العلامة الحلي: (جليل القدر، عظيم المنزلة، من خواص علي عليه السلام)[٧].

---

١ . سلسلة الأعلام من الصحابة والتابعين: ٩٧.
٢ . أسد الغابة: ٩٨/٥.
٣ . مستدركات علم الرجال: ٢٣/٣.
٤ . مروج الذهب: ٣٠٧/٢، المعارف، لابن فقيه: ١٧٥.
٥ . شرح نهج البلاغة: ٥٤/٦.
٦ . المصدر نفسه: ١٩٤/٢.
٧ . خلاصة الأقوال: ٢٣٧.

المبحث الثاني

الخطب والمراسلات والكتب:

لقد كان بين أمير المؤمنين عليه السلام ومحمد بن أبي بكر مراسلات وكتب وكذلك بين محمد بن أبي بكر ومعاوية، كما أنّ له خطباً وكتباً، سنختار قسماً منها في بحثنا هذا روماً للإيجاز.

كتاب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر (رحمه الله) ما إن قدم محمد بن أبي بكر مصر قرأ على أهلها عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد عبد الله علي أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر:

أمره بتقوى الله والطاعة له في السر والعلانية، وخوف الله في المغيب والمشهد، وأمره باللين للمسلم، وبالغلظة على الفاجر، وبالعدل على أهل الذمة، والإنصاف للمظلوم، وبالشدة على الظالم، وبالعفو عن الناس، وبالإحسان ما استطاع. والله يجزي المحسنين ويعذّب المجرمين.

وأمره أن يدعو قبَلَه إلى الطاعة والجماعة، فإن لهم في ذلك من العاقبة وعظيم المثوبة ما لا يقدرون قدره، ولا يعرفون كنهه، ولا ينتقص منه، ولا يبتدع فيه، ثم يقسمه بين أهله كما كانوا يقسمونه عليه من قبل.

وأمره أن يلين لهم جناحه، وأن يساوي بينهم في مجلسه ووجهه، وليكن القريب والبعيد عنده في الحق سواء، وأمره أن يحكم بين الناس بالحق، وأن تقوم بالقسط، ولا يتبع الهوى، ولا يخاف في الله لومة لائم، فإن الله مع من اتقاه، واثر طاعته على ما سواه والسلام[1].

كتاب الإمام علي عليه السلام إلى أهالي مصر

---

١ . الغارات: ٢٢٤/١، تحف العقول: ١٧٦، شرح نهج البلاغة: ٦٥/٤، بحار الأنوار: ٥٤٠/٣٣.

كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر ومحمد بن أبي بكر رضوان الله عليه قال الثقفي عليه الرحمة والرضوان: وحدثني يحيى بن صالح، عن مالك بن خالد الاسدي، عن الحسن بن إبراهيم، عن عبد الله بن الحسن ابن الحسن قال: كتب علي عليه السلام إلى أهل مصر، لما بعث محمد بن أبي بكر إليهم، كتابا يخاطبهم به ويخاطب محمدا أيضا فيه:

أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله في سر أمركم وعلانيته، وعلى أي حال كنتم عليها وليعلم المرء منكم أن الدنيا دار بلاء وفناء، والآخرة دار جزاء وبقاء، فمن استطاع أن يؤثر ما يبقى على ما يفنى فليفعل، فإن الآخرة تبقى، والدنيا تفنى، رزقنا الله وإياكم بصرا لما بصرنا، وفهما لما فهمنا حتى لا نقصر عما أمرنا ولا نتعدى إلى ما نهانا. واعلم يا محمد أنك وإن كنت محتاجا إلى نصيبك أي يقدم ويختار ما هو الباقي الدائم على ما هو الفاني الزائل من الدنيا، إلا أنك إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن عرض لك أمران: أحدهما للآخرة، والآخر للدنيا فابدأ بأمر الآخرة، ولتعظم رغبتك في الخير، ولتحسن فيه نيتك، فإن الله عز وجل يعطي العبد على قدر نيته، وإذا أحب الخير وأهله ولم يعمله كان ــ إن شاء الله ــ كمن عمله فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال حين رجع من تبوك: (إن بالمدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا هبطتم من واد إلا كانوا معكم ما حبسهم إلا المرض) ــ يقول : كانت لهم نية ــ، ثم اعلم يا محمد إني قد وليتك أعظم أجنادي أهل مصر، وولايتك ما وليتك من أمر الناس فأنت محقوق أن تخاف فيه على نفسك، وتحذر فيه على دينك ولو كان وهذا المعنى قد تضافرت به الأخبار، وتكاثرت فيه الاثار..

منها قوله عليه السلام في المختار الحادي عشر، من خطب نهج البلاغة: (ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرجال وأرحام النساء، سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الإيمان) ومنها، فإن استطعت أن لا تسخط ربك لرضا أحد من خلقه فافعل، فإن في الله خلفا من غيره، وليس في شيء خلف منه، فاشتد على الظالم، ولن لأهل الخير وقربهم إليك واجعلهم بطانتك وإخوانك والسلام[1].

وأما صاحب كتاب تحف العقول فقد ذكر هذه الرواية:

---

١ . شرح الأخبار، من خطب نهج البلاغة: ٦٧.

كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل مصر بعد مسير محمد إليهم

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى محمد بن أبـي بكـر وأهل مصـر سلام عليكم.

أمـا بعـد فقـد وصـل إلـي كتابـك وفهمـت مـا سـألت عنـه وأعجبنـي اهتمامك بما لا بد لك منه وما لا يصلح المسلمين غيره وظننت أن الذي أخرج ذلك منك نية صالحة ورأي غير مدخول[1].

أما بعد فعليك بتقوى الله في مقامك ومقعدك وسرك وعلانيتك، وإذا أنت قضيت بين الناس فأخفض لهم جناحك ولين لهم جانبك، وأبسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظ والنظر حتـى لا يطمـع العظمـاء فـي حيفك لهـم، ولا يـأيس الضـعفاء مـن عـدلك علـيهم، وأن تسـأل المـدعي البينـة وعلى المدعى عليه اليمين، ومن صـالح أخـاه علـى صلح فـأجز صـلحه إلا أن يكـون صـلحاً يحـرم حـلالاً أو يحلـل حرامـاً، وآثـر الفقهـاء وأهـل الصـدق والوفـاء والحيـاء والـورع علـى أهـل الفجـور والكـذب والغـدر، وليكن الصـالحون الأبرار إخوانك والفـاجرون الغـادرون أعداءك، فـإن أحب أخواني أكثرهم لله ذكراً وأشدهم منـه خوفـاً، وأنـا أرجـو أن تكـون منهم إن شاء الله.

وإني أوصيكم بتقوى الله فيما أنتم عنه مسئولون وعما أنتم صائرون فـإن الله قـال فـي كتابـه (كُـلُّ نَفْـسٍ بِمَـا كَسَـبَتْ رَهِينَـةٌ) (المدثر: ٣٨) وقـال (وَيُحَـذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَـهُ وَإِلَـى اللّهِ الْمَصِـيرُ) (آل عمـران:٢٨) وقـال (فَوَرَبِّـكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الحجر: ٩٢ – ٩٣).

فعليكم بتقوى الله فإنها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها ويدرك بها من الخير ما لا يدرك بغيرها من خير الدنيا وخير الآخرة وقال تعالى (وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) (النحل: ٣٠).

اعلموا عباد الله أن المتقين ذهبوا بعاجل الخير وآجله، وشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، قال عز وجل (قُلْ

---

١ . أي لم يتدخل عليه الفساد.

مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) (الأعراف: ٣٢) سكنوا الدنيا بأحسن ما سكنت وأكلوها بأحسن ما أكلت.

وأعلموا عباد الله أنكم إذا اتقيتم الله وحفظتم نبيكم في أهله فقد عبدتموه بأفضل عبادته، وذكرتموه بأفضل ما ذكر وشكرتموه بأفضل ما شكر وقد أخذتم بأفضل الصبر والشكر واجتهدتم بأفضل الاجتهاد وإن كان غيركم أطول منكم صلاة وأكثر منكم صياماً وصدقة إذ كنتم أنتم أوفى لله وأنصح لأولياء الله ومن هو ولي الأمر من آل رسول الله صلى الله عليه وآله.

احذروا عباد الله الموت وقربه وكربه وسكراته وأعدوا له عدته فإنه يأتي بأمر عظيم بخير لا يكون معه شر وبشر لا يكون معه خير أبداً فمن أقرب إلى الجنة من عاملها وأقرب إلى النار من أهلها، فأكثروا ذكر الموت عند تنازعكم إليه أنفسكم، فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أكثروا ذكر هادم اللذات وأعلموا أن ما بعد الموت لمن لم يغفر الله له ويرحمه أشد من الموت.

واعلم يا محمد أنني وليتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر وأنت محقوق أن تخاف على نفسك وأن تحذر فيه على دينك وإن لم تكن إلا ساعة من النهار، فإن استطعت أن لا تسخط ربك برضى أحد من خلقه فافعل، فإن في الله خلفاً من غيره ولا في شيء خلف من الله، أشدد على الظالم وخذ على يديه، ولن لأهل الخير وقربهم منك وأجعلهم بطانتك وإخوانك.

ثم انظر كيف هي، فإنك إمام، وليس من إمام يصلي بقوم فيكون في صلاتهم تقصير إلا كان عليه أوزارهم ولا ينتقص من صلاتهم شيء ولا يتممها إلا كان له مثل أجورهم ولا ينتقص من أجورهم شيء، وانظر الوضوء فإن تمام الصلاة ولا صلاة لمن لا وضوء له، واعلم أن كل شيء من عملك تابع لصلاتك، واعلم أنه من ضيع الصلاة فإنه لغير الصلاة من شرائع الإسلام أضيع.

وإن استطعتم يا أهل مصر أن يصدق قولكم فعلكم وسركم وعلانيتكم ولا تخالف ألسنتكم أفعالكم فافعلوا، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إني لا أخاف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً، أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه، وأما المشرك فيخزيه الله ويقمعه بشركه ولكني

أخاف عليكم كل منافق حلو اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون ليس به خفاء).

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: (من سرته حسناته وساءته سيئاته فذلك المؤمن حقاً) وكان يقول صلى الله عليه وآله: (خصلتان لا يجتمعان في منافق حسن سمت وفقه في سنة).

واعلم يا محمد بن أبي بكر أن أفضل الفقه الورع في دين الله والعمل بطاعة الله، أعاننا الله على شكره وذكره وأداء حقه والعمل بطاعته أن سميع قريب.

واعلم أن الدنيا دار بلاء وفناء، والآخرة دار بقاء وجزاء، فإن استطعت أن تزين ما يبقى على ما يفنى فافعل رزقنا الله بصر ما بصرنا وفهم ما فهمنا حتى لا نقصر عما أمرنا ولا نتعدى إلى ما نهانا عنه، فإنه لا بد من نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن عرض إليك لك أمران أحدهما للآخرة والآخر للدنيا فابدأ بأمر الآخرة وإن استطعت أن تعظم رغبتك في الخير وتحسن فيه نيتك فافعل، فإن الله يعطي على قدر نيته إذا أحب الخير وأهله وإن لم يفعله، كان إن ساء الله كمن فعله.

ثم إني أوصيك بتقوى الله، ثم بسبع خصال هن جوامع الإسلام: تخشى الله ولا تخشى الناس في الله فإن خير القول ما صدقه الفعل، ولا تقض في أمر أحد بقضاءين فيختلف عليك أمرك وتزل عن الحق، أحبب لعامة رعيتك ما تحب لنفسك وأهل بيتك واكره لهم ما تركه لنفسك وأهل بيتك، وألزم الحجة عند الله وأصلح رعيتك وخض الغمرات إلى الحق ولا تخف في الله لومة لائم، وأقم وجهك وانصح للمرء المسلم إذا استشارك واجعل نفسك أسوة لقريب المسلمين وبعيدهم، وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

كتاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأهل مصر

(... أحسنوا أهل مصر مؤازرة محمد أميركم، وثبتوا على طاعته، تردوا حوض نبيكم صلى الله عليه وآله أعاننا الله وإياكم على ما يرضيه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)[1].

كتاب محمد بن أبي بكر لأمير المؤمنين علي عليه السلام

وكتب محمد بن أبي بكر إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو إذ ذاك بمصر، عاملا له، يسأله جوامع من الحلال والحرام، والسنن والمواعظ، فكتب إليه : لعبد الله أمير المؤمنين عليه السلام من محمد بن أبي بكر، سلام عليك فاني أحمد إليك الله الذي لا اله إلا هو أما بعد فان رأى أمير المؤمنين عليه السلام ــ أرانا الله وجماعة المسلمين أفضل سرورنا وأملنا فيه ــ أن يكتب لنا كتابا فيه فرائض وأشياء مما يبتلي به مثلي من القضاء بين الناس فعل، فان الله يعظم لأمير المؤمنين الأجر، ويحسن له الذخر.

كتاب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن أبي بكر:

فكتب أمير المؤمنين عليه السلام إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى محمد بن أبي بكر وأهل مصر سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فقد وصل إلي كتابك فقرأته وفهمت ما سألتني عنه، فأعجبني اهتمامك بما لا بد منه، وما لا يصلح المؤمنين غيره، وظننت أن الذي دعاك إليه، نية صالحة ورأي غير مدخول ولا خسيس وقد بعثت إليك أبواب الاقضية جامعا لك، ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل[2].

كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر

---

١ . الأمالي، الشيخ الصدوق: مجلس: ٣١،ح٣.

٢ . نهج السعادة: الشيخ المحمودي: ١٠١/٤.

ما رواه إبراهيم بن محمد الثقفي في كتاب الغارات عن عباية قال: كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر انظر ركوعك وسجودك فان النبي صلى الله عليه وآله كان أتم الناس صلاة وأحفظهم لها وكان إذا ركع قال: (سبحان ربي العظيم وبحمده) ثلاث مرات، وإذا رفع صلبه قال: سمع الله لمن حمده اللهم لك الحمد مل ء سمواتك ومل ء أرضيك ومل ء ما شئت من شيء، فإذا سجد قال: (سبحان ربي الأعلى وبحمده) ثلاث مرات[1].

عن المغيرة عن إسماعيل بن أبي زياد عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام أن محمد بن أبي بكر كتب إلى علي عليه السلام يسأله عن الرجل يزنى بالمرأة اليهودية والنصرانية فكتب عليه السلام إليه: إن كان محصنا فارجمه وإن كان بكرا فاجلده مائة جلدة ثم انفه، وأما اليهودية فابعث بها إلى أهل ملتها فليقضوا فيها ما أحبوا.

---

١ . الحدائق النظرة، المحقق البحراني: ٢٥١/٨

كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر

عن يحيى بن صالح، عن مالك بن خالد، عن عبد الله بن الحسن، عن عباية قال: كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر:

انظر صلاة الظهر فصلها لوقتها، لا تعجل بها عن الوقت لفراغ، ولا تؤخرها عن الوقت لشغل، فان رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله عن وقت الصلاة فقال صلى الله عليه وآله: أتاني جبرئيل عليه السلام فأراني وقت الصلاة، فصلى الظهر حين زالت الشمس ثم صلى العصر وهي بيضاء نقية، ثم صلى المغرب حين غابت الشمس، ثم صلى العشاء حين غابت الشفق، ثم صلى الصبح فأغلس به والنجوم مشتبكة. كان النبي صلى الله عليه وآله كذا يصلي قبلك، فان استطعت ولا قوة إلا بالله أن تلتزم السنة المعروفة، وتسلك الطريق الواضح الذي أخذوا فافعل، لعلك تقدم عليهم غدا، ثم قال: واعلم يا محمد أن كل شئ تبع لصلاتك، واعلم أن من ضيع الصلاة فهو لغيرها أضيع[1].

---

١ . بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣/٨٠.

من كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى عبد الله بن عباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر (رحمه الله)

نورد كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عبد الله بن عباس ليتبين القارئ أسباب عدم مجيء مدد إلى محمد بن أبي بكر (رحمه الله) وهو في مصر من العراق، وهذا هو نص الكتاب:

(أمّا بعد فإن مصير قد افتتحت، ومحمد بن أبي بكر قد استشهد قاطعاً، ورُكناً دافعاً، وقد كنت حثثت الناس على لحاقه، وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة، ودعوتهم سراً وجهراً وعوداً وبدءً، فمنهم الآتي كارهاً، ومنهم المتعلل كاذباً، ومنهم القاعد خاذلاً، وأسأل الله تعالى أن يجعل لي منهم مخرجاً عاجلاً، فو الله لولا طمعي عند لقائي عدُوي في الشهادة وتوْطيني نفسي على المنيّة لأحببت ألاّ ألقى مع هؤلاء يوماً واحداً، ولا ألتقي بهم أبداً)[1].

يكشف لنا هذا الكتاب أموراً كثيرة منها:

أ. أسباب غلبة جيش الشام بقيادة عمرو بن العاص وهزيمة المصريين بقيادة محمد بن أبي بكر، لأنهم كانوا يأملون أن تأتيهم النصرة والإمدادات من العراق، لكن ذلك لم يحصل كما وضحه أمير المؤمنين عليه السلام.

ب. تقاعس أهل العراق في نصرة الحق وخذلانهم، مما يبين رقة إيمانهم.

جـ. معاناة أمير المؤمنين عليه السلام من موقف أهل العراق الموقف البعيد عن المبادئ الإسلامية الحقة التي تنادي بنصرة الحق وقتال المارقين والفاسقين ومن يريدون النيل من الإسلام.

د. وتكشف لنا إيمان أمير المؤمنين عليه السلام بالله تعالى رغم كل هذه المعاناة إيماناً راسخاً بأنه يبغي الشهادة في سبيل الله: (لولا طمعي عند لقائي عدوي في الشهادة..).

هـ. إن تعاون محمد بن أبي بكر مع العثمانية في خربتا والسماح لهم بالخروج أو السفر والانضمام إلى جيش معاوية من أهم أسباب قوة

---

١ . نهج البلاغة: الكتاب ٣٥، الغارات: ٢٩٨/١، شرح نهج البلاغة: ٩٢/٦، أنساب الأشراف: ٤٠٥/٢.

جيش معاوية وعمرو بن العاص وضعف جيش محمد بن أبي بكر وتفككه.

و. عدم أخذ محمد بن أبي بكر بتوجيهات الإمام علي عليه السلام في الإسراع بمحاربة الخارجيين العثمانيين والقضاء عليهم، وكانوا قلة قليلة من الممكن القضاء عليهم والتخلص من شرّهم.

وبالقضاء على هؤلاء الخارجيين يمكن توحيد أهالي مصر وجعلهم قوة ضاربة بوجه جيش الشام، بل يمكن القضاء عليهم.

رسالة الإمام علي عليه السلام إلى أصحابه بعد مقتل محمد بن أبي بكر

(عباد الله، أنهدوا إلى هؤلاء القوم منشرحة صدوركم لقتالهم، فأنهم نكثوا بيعتي، واخرجوا عثمان بن حنيف عاملي بعد الضرب المبرح، والعقوبة الشديدة، وقتلوا السبابجة، وقتلوا حكيم بن جبلة العبدي، وقتلوا رجالا صالحين. ثم اتبعوا من نجا منهم، يأخذونه من كل حائط، ومن تحت كل راية (ثم يأتون بهم) فيضربون رقابهم صبرا، (فيستحلون أموالهم)، مالهم قاتلهم الله أنى يؤفكون. أنهدوا إليهم وكونوا أشداء عليهم، والقوهم وانتم صابرون محتسبون، ليعلموا أنكم منازلوهم ومقاتلوهم، وقد وطنتم أنفسكم ..[1] وأي امرئ منكم أحس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء، ورأى من أحد من إخوانه فشلا، فليذب عن أخيه الذي فضل عليه كما يذب عن نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله). ثم قال عليه السلام: (أيها الناس: إذا هزمتموهم فلا تجهزوا على قتيل ولا جريح، ولا تقتلوا أسيرا، ولا تطلبوا موليا، ولا تتبعوا مدبرا، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، ولا تهتكوا سترا، ولا تربوا شيئا من أموالهم، إلا أن تجدوه في معسكرهم من سلاح أو كراع وعبيد وإماء، وأما ما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على ما في كتاب الله عز وجل). كان دخول أمير المؤمنين عليه السلام البصرة مما يلي الطف، فأتى الزاوية، فخرجت، فرأيت موكبا نحو ألف فارس، يقدمهم فارس (ومعه راية) على فرس أشهب عليه قلنسوة وثياب بيض متقلدا بسيف، وإذا أنا بتيجان القوم غالبها بيض وصفر، مدججين في السلاح والحديد، فقلت : من هذا؟ فقيل لي: هذا أبو أيوب الأنصاري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وهؤلاء الذين معه الأنصار وغيرهم. ثم تلاه فارس ثان عليه عمامة صفراء وثياب بيض، متقلدا بسيف (متنكبا قوسا) على فرس أشقر، بيده راية، معه نحو ألف فارس. فقلت: من هذا؟ فقيل: لي هذا خزيمة ذو الشهادتين.

---

١. جاء في الإرشاد: السبابجة: قوم صالحون كان أمير المؤمنين عليه السلام سلم بيت المال بالبصرة إليهم، فكبسهم أصحاب الجمل وقتلوهم وذلك بعد معاهدتهم ألا يقتلوا أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

قال الجوهري في (الصحاح) ١: ٣٢١ السيابجه: قوم من السند كانوا جلاوزة بالبصرة وأصحاب سجن، والهاء للنسبة والعجمة، وأصل الكلمة سياه بجكان.

كتاب الإمام علي عليه السلام من الربذة إلى أهل الكوفة

لما قدم علي عليه السلام الربذة أقام بها، وسرح منها إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر، وكتب إليهم: إني اخترتكم على الأمصار، وفزعت إليكم لما حدث، فكونوا لدين الله أعوانا وأنصارا، وأيدونا وانهضوا إلينا فالإصلاح ما نريد، لتعود الأمة إخوانا، ومن أحب ذلك وآثره فقد أحب الحق وآثره، ومن أبغض ذلك، فقد أبغض الحق وغمصه[1].

مكاتبة محمد بن أبي بكر لأمير المؤمنين عليه السلام

كتاب (الغارات) عن الحارث بن كعب عن أبيه، قال: (بعث علي عليه السلام محمد بن أبي بكر أميراً على مصر فكتب إلى علي عليه السلام يسأله عن رجل مسلم فجر بامرأة نصرانية وعن زنادقة فيهم من يعبد الشمس والقمر، وفيهم من يعبد غير ذلك، وفيهم مرتد عن الإسلام، وكتب يسأله من مكاتب مات وترك مالا وولدا. فكتب إليه علي عليه السلام: أن أقم الحد على المسلم الذي فجر بالنصرانية، وادفع النصرانية إلى النصارى يقضون فيها ما شاؤوا، وأمره في الزنادقة أن يقتل من كان يدعى الإسلام، ويترك سائرهم يعبدون ما شاؤوا)[2].

---

١ . نهج السعادة، الشيخ المحمودي: ٤/٤٥.

٢ . الجزية وأحكامها، علي أكبر الكلانتري: ٨٣.

محمد بن أبي بكر ومعاوية:

كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية

من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر، سلام على أهل طاعة الله ممن هو سلم لأهل ولاية الله.

أما بعد: فإن الله بجلالته وعظمته وسلطانه وقدرته خلق خلقاً بلا عبث ولا ضعف في قوته لا حاجة به إلى خلقهم، ولكنه خلقهم عبيداً وجعل منهم شقياً وسعيداً وغوياً ورشيداً، ثم اختار على علمه، فاصطفى وانتخب منهم محمداً صلى الله عليه وآله فاختصه لرسالته، واختاره لوحيه، وائتمنه على أمره، وبعثه رسولاً مصدقاً لما بين يديه من الكتب، ودليلاً على الشرايع، فدعا إلى سبيل أمره، بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب وأناب وصدق فاسلم وسلم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام، فصدقه بالغيب المكتوم، وآثره على كل حميم، ووقاه كل هول، وواساه بنفسه في كل خوف فحارب حربه وسالم سلمه، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه ساعات الأزل ومقامات الروع حتى بارز سابقاً لا نظير له في جهاده ولا مقارب له في فعله.

وقد رأيتك تسامى وأنت أنت، وهو هو السابق المبرز في كل خير، أول الناس إسلاماً وأصدق الناس نية، وأطيب الناس ذرية، وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن عم.

وأنت اللعين ابن اللعين، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل، وتجتهدان على إطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتحالفان في ذلك القبائل، على هذا مات أبوك وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله صلى الله عليه وآله، والشاهد لعلي مع فضله، وسابقته القديمة أنصاره الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن ففضلهم، وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار، فهم معه كتائب وعصائب يجالدون حوله أسيافه، ويهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في اتباعه، والشقاق والعصيان في خلافه، فكيف يا لك الويل! تعدل نفسك بعلي؟ وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله، ووصيه،

وأبو ولده، وأول الناس إتباعاً، وأخرهم عهداً، يخبره بسره، ويشركه في أمره، وأنت عدوه، وابن عدوه ما استطعت بباطلك، وليمددك ابن العاص بغوايتك، فكان أجلك قد انقضى، وكيدك قد وهى، وسوف تستبين لمن تكون العاقبة العليا، واعلم إنك إنما تكايد ربك الذي قد أمنت كيده وآيست من روحه، وهو لك بالمرصاد، وأنت منه في غروب، بالله وبأهل بيت نبيك الغناء)[1].

تعليق:

نلحظ في كتاب محمد بن أبي بكر صدق أقواله ومطابقتها لواقع الحال وهذا ما تناقلته كتب الفريقين دون خلاف، فالله سبحانه اختص النبي محمد دون غيره (واختاره لوصيه وائتمنه على أمره، وبعثه رسولاً..).

وإن ابن عمه علي بن أبي طالب (فصدقه بالغيب المكتوم، وأثره على كل حميم، ووقاه كل هول، وواساه بنفسه في كل خوف..).

وأن علي بن أبي طالب: (هو هو السابق المبرز في كل خير أول الناس إسلاماً، وأصدق الناس نية، وأطيب الناس ذرية، وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن عم) لا أحد ينكر ذلك حتى ألد أعداء الإسلام.

ثم يأتي على ذكر معاوية لا من قبيل المقارنة فليس هناك من مقارنة بين الحق والباطل ولا بين الظلام والنور وبين الإيمان والكفر ولكم لكي يعرف لمعاوية من يكون هو وأبوه، فإذا كان الإمام علي عليه السلام المدافع عن الإسلام والذائد عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وآله في كل المواطن فإن معاوية وأباه يبغيان لدين الله الغوائل، ويجتهدان على إطفاء نور الله ..).

ويعطيه محمد بن أبي بكر شاهداً على ذلك، وهنا يذكره بأصحابه الذين يلجؤون إليه من بقية الأحزاب ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله صلى الله عليه وآله، ثم يذكر له أصحاب علي بن أبي طالب عليه السلام (أنصاره الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن ففضلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار).

---

١ . شرح نهج البلاغة: ١٨٨/٣، الطبقة المصرية: ٢٨٣/١، مروج الذهب: ٢٠/٣ ـ ٢١، وقعة صفين: ١٣٣، الاختصاص، الشيخ المفيد: ١١٩.

ويذكر محمد بن أبي بكر لمعاوية أن ابن العاص هو الذي يمدده في غوايته، فإذا كان يريد مكايدة علي بن أبي طالب فإنما يكاد معاوية ربه الذي يئس من رحمته لفجوره وخروجه على إمام زمانه.

وقد رأينا من الحكمة أن نورد جواب معاوية على كتاب محمد بن أبي بكر، ليقف عندهما الحصيف اللبيب، وذو العقل النير والضمير الحي الذي يخشى الله سبحانه وتعالى وفي نفسه ذرة إيمان بالله ورسوله، ليعرف الحقَّ ويتبينه ويتبعه وينأى عن الباطل ويدينه.

جواب معاوية على كتاب محمد بن أبي بكر

بسم الله الرحمن الرحيم

من معاوية بن أبي سفيان إلى الرازي على أبيه محمد بن أبي بكر سلام على أهل طاعة الله ..

أما بعد: فقد أتاني كتابك تذكر منه ما الله أهله في قدرته وسلطانه، وما أصفى به نبيه، مع كلام ألفته ووضعته لرأيك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف، ذكرت حق ابن أبي طالب وقديم سوابقه وقرابته من نبي الله صلى الله عليه وآله ونصرته له ومواساته إياه في كل خوف وهول، واحتجاجك عليّ بفضل غيرك لا بفضلك، فأحمد الله صرف الفضل عنك وجعله لغيرك! وقد كنا وأبوك معنا في حياة من نبينا صلى الله عليه نرى ابن أبي طالب، لازماً لنا وفضله مبرزاً علينا، فلما اختار الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وما عنده، وأتم له ما وعده، وأظهر دعوته، وأفلج حجته، قبضه الله إليه، فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه وخالفه على ذلك اتفقا واتسقا، ثم دعواه إلى أنفسهم، فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما، فهما به الهموم، وأرادا به العظيم، فبايع وسلّم لهما لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضا وانقضى أمرهما.

ثم قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان يهتدي بهديهما ويسير بسيرتهما فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي وبطنتما له وأظهرتما عداوتكما وغلكما حتى بلغتما منه منالكما، فخذ حذرك يا ابن أبي بكر! فسترى وبال أمرك، وقس شبرك بفترك تقصر عن أن تساوي أو توازي من يزن الجبال حلمه ولا تلين على قسر قناته ولا يدرك ذو مدى أناته، أبوك مهّد مهاده، وبنى ملكه وشاده، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوله، وإن يك جوراً فأبوك أسسه ونحن شركاؤه، وبهديه أخذنا وبفعله سلمنا له، ولكنا رأينا أباك فعل ذلك، فاحتذينا بمثاله واقتدينا بفعاله، فعب أباك ما بدا لك أودع، والسلام على من أناب ورجع عن غوايته وتاب[1].

---

١. شرح نهج البلاغة: ١٨٩/٣، مروج الذهب: ٢١/٣ ـ ٢٢، الاختصاص الشيخ المفيد: ١٢٠، الاحتجاج الطبرسي: ٢٧٠/١، أنساب الأشراف: ٣٩٤/١، مواقف الشيعة، علي الأحمدي: ٢٦٢/١، ٢٦٣، ٢٦٤.

وقفة مع جواب معاوية

لو وقفنا وقفة المتأمل لجواب معاوية على رسالة محمد بن أبي بكر لاستطعنا أن نستشف أموراً واضحة لا تقبلُ الجدل والمواربة ولا تقبل التأويل، والأحرى بالفريق الآخر لاسيما الذي أعمى الله تعالى بصائرهم وسلبهم القدرة على رؤية الحق الناصع ليكونوا غذاءً لنار جهنم إن بقوا هكذا ولم يتبينوا طريق الرشاد .. إن هؤلاء إذا اطلعوا على جواب معاوية هذا سيعلمون جيداً إنهم كانوا مغفلين جداً لأنهم صدقوا الباطل ونصروه على الحق وأعانوه، ورسخوا الكفر والضلالة وزعزعوا الحق والمبادئ الإسلامية الحقَّ ظناً منهم أنهم هم المفلحون، ترى ماذا سيقولون لو تأملوا هذه العبارات من كلام معاوية من ذلك اعترافه قائلاً: (نرى ابن أبي طالب، لازماً لنا وفضله مبرزاً علينا) فإذا كان معاوية يعترف صراحة بأن أمير المؤمنين علياً عليه السلام مبرز عليهم، فلماذا يقاتله، وهل يقاتل الإنسان المبرز إلا لحقد وضغينة .. وهل من خلق العربي الحق الذي يدعي الشيمة والنخوة والإسلام أن يحارب من هو أفضل منه إلا الوضيع الأصل الخبيث الطبع؟!

ثم يعترف بصريح العبارة أن ليس أول من تمرَّد على ولي أمره يقول مخاطباً محمد بن أبي بكر (فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه وخالفه على ذلك) فهذا اعتراف واضح وصريح بأنه ليس أول من أنكر الحق وتنكر لمن هو صاحب الحق فأنه إن فعل ذلك وتنكر لحق أولي الأمر علي بن أبي طالب وخرج عليه.

فإن أبا بكر وعمر قد فعلا ذلك قبله فقد ابتزا أحقية الإمام علي عليه السلام في خلافته لأخيه رسول الله صلى الله عليه وآله وخالفاه على ذلك باتفاق واتساق (ثم دعواه إلى أنفسهم) وحينما قبضا وانقضى أمرهما (قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان يهتدي بهديهما ويسير بسيرتهما..)، ثم يناظر محمد بن أبي بكر في ذلك قائلاً: (فإن نكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوله وإن يك جوراً فأبوك أسسه ونحن شركاؤه، وبهديه أخذنا وبفعله سلمنا له، ولكنا رأينا أباك بالفعل ذلك فاحتذينا بمثاله واقتدينا بفعاله. هذا ما قاله معاوية إلى محمد بن أبي بكر .. ترى ألم ينتبه أصحابه ومن سار على دربه إلى هذا القول .. ترى كيف

يطالب هو ومنْ لف لفهم ورقَّ إسلامهم بدم عثمان، وهذا قول من يداعي ويطالب بدم عثمان؟! أين عقول هؤلاء ذهبت ؟! أخلقهم الله ناقصي عقل وجعلهم ناقصي دين وفهم ومعرفة؟ متى يفهم هؤلاء الحقيقة حتى يقابلوا الله بوجه حسن كي يرض عنهم؟!

كتاب عمر بن العاص إلى محمد بن أبي بكر

لقد وصل عمر بن العاص إلى مصر، واجتمعت إليه العثمانية وكتب إلى محمد بن أبي بكر كتاباً هذا نصه:

(وأما بعد فتنح عني بدمك يا ابن أبي بكر فإني لا أحب أن يصيبك مني ظفر، إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك، وندموا على إتباعك، فهم مسلموك، لو قد التقت حلقتا البطان، فأخرج منها، فإني إليك من الناصحين والسلام).

كتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر

(أما بعد فإن غب البغي والظلم عظيم الوبال، وأن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النقمة في الدنيا، ومن التبعية الموبقة في الآخرة وإنا لا نعلم أحداً كان أعظم على عثمان بغياً ولا أسوأ له عيباً، ولا أشد عليه خلافاً منك سعيت عليه في الساعين، وسفكت دمه في السافكين، ثم تظن إني عنك نائم، أو ناسٍ لك حتى تأتي متآمر على البلاد وأنت فيها جاري، وجل أهلها أنصاري، يرون رأيي، ويرقبون قولي ويستصرخوني عليك، وقد بعثت إليك قوماً حناقاً عليك يستسقون دمك، ويقتربون إلى الله بجاهدك، ولا أنذرتك ولا حببت أن يقتلوك بظلمك وقطيعتك وعدوك على عثمان يوم يطعن بمشاقصك بين خُشُشائه وأوداجه ولكن أكره أن أمثل بقرشي، ولن يسلك الله من القصاص أبداً أينما كنت والسلام).

فبعد أن قرأ محمد بن أبي بكر الكتابين كتب كتاباً إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام يطلب فيه العون المدد، ويخبره بالموقف عنده.

وأرسل مع كتابه كتابي معاوية بن أبي سفيان وعمر بن العاص، فلما قرأ أمير المؤمنين الكتب كتب إلى محمد بن أبي بكر.

كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر

(أما بعد، فقد جاء في كتابك تذكر أن ابن العاص قد نزل بأداني أرض مصر في لجب من جيشه خرّاب، وإن من كان بها على مثل رأيه قد خرج إليه، وخروج من يرى رأيه إليه خيرٌ لك من إقامتهم

عندك، وذكرت إنك قد رأيت في بعض من قبلك فشلاً، فلا تفشل، إن فشلوا فحصّن قريتك، وأضمم إليك شيعتك، واندب إلى القوم كنانة بن بشر المعروف بالنصيحة والنجدة والبأس، فإني نادبٌ إليك الناس على الصعب والذلول، فاصبر على عدوك وامض على بصيرتك وقاتلهم على نيتك، وجادلهم صابراً محتسباً، وإن كانت فئتك أقل الفئتين فإن الله قد يعز القليل، ويخذل الكثير، وقد قرأت كتاب الفاجر ابن الفاجر معاوية والفاجر ابن الكافر عمرو المتحابين في عمل المعصية، والمتوافقين المرتشيين في الحكومة، المفكرين في الدنيا، قد استمتعوا بخلاقهم، كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم، فلا يهلْك إرعادهما وإبراقهما، وأجبهما إن كنت تجبهما بما هما أهله، فإنك تجد مقالاً ما شئت والسلام).

بعد أن وصل كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر، كتب إلى معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، يرد فيها بما قالاه، وينتدب لقتالهما، ثم قام خطيباً في الناس يحضهم فيه على جهاد أعداء الله تعالى.

خطبة محمد بن أبي بكر في الناس بمصر

(أما بعد معاشر الناس المسلمين والمؤمنين، فإن القوم الذين كانوا ينتهكون الحرمة، ويغشون أرض الضلال، ويشبون نار الفتنة ويتسلطون بالجبرية، قد نصبوا لكم، العداوة، وساروا إليكم بالجنود، عباد الله ! لمن أراد الجنة والمغفرة فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجاهدهم في الله، انتدبوا إلى هؤلاء القوم رحمكم الله مع كنانة بن بشر).

ويطلب محمد بن أبي بكر من أمير المؤمنين العون والمدد فقام أمير المؤمنين علي عليه السلام ينادي في أهل العراق لإغاثة محمد فلم يخرج أحد استجابة لطلبه، فقام فيهم خطيباً وقال:

(أما بعد فإن هذا صريخ محمد بن أبي بكر، وإخوانكم في مصر، قد سار إليها ابن النابغة عدو الله، وولي من عادى الله، فلا يكون أهل الضلال إلى باطلهم والركون إلى سبيل الطاغوت اشدُّ اجتماعاً منكم على حقكم هذا، فإنهم قد بدأوكم وإخوانكم بالغزو، فاعجلوا إليهم بالمؤاساة والنصر، عباد الله إن مصر أعظم من الشام، أكثر خيراً، وخيرٌ أهلاً فلا تغلبوا على مصر، فإن بقاء مصر في أيديكم عز لكم، وكبْتُ لعدوكم أخرجوا إلى الجرعة بين الحيرة والكوفة فوافوني بها هنالك غداً إن شاء الله.

فلما كان منه الغد خرج يمشي فنزلها بكرة، فأقام بها حتى انتصف النهار يومه ذلك، فلم يوافه منهم رجلٌ واحد.

المصادر والمراجع

١. الاحتجاج، الطبرسي (القرن السادس)، تحقيق إبراهيم البهادري الشيخ محمد هادي، دار الأسرة، إيران، ١٤٢٤هـ.
٢. الاختصاص، الشيخ المفيد، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٢هـ.
٣. إرشاد القلوب، الديلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٨٩هـ.
٤. الاستيعاب، ابن عبد البر، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٥٨هـ.
٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٦هـ.
٦. الإصابة في معرفة الصحابة، ابن حجر العسقلاني، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٣٥٨هـ.
٧. الأعلام من الصحابة والتابعين، حسين الشاكري، مركز للدراسات الإسلامية، ١٤١٧هـ.
٨. الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٥.
٩. أعيان الشيعة، محسن الأمين، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف، بيروت، ١٤٢٠هـ.
١٠. الأمالي، الشيخ المفيد مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٥هـ.
١١. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، دار المعرفة، بيروت د. ت.
١٢. امتاع الأسماع، أحمد بن علي المقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ.
١٣. أنساب الأِشراف، البلاذري، تحقيق فردوس كاظم، دار اليقظة، دمشق ١٩٩٩م.
١٤. بحار الأنوار، المجلسي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٦هـ.
١٥. البداية والنهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف، مكتبة النصر، بيروت ــ الرياض، ١٩٦٦.
١٦. البدر والتاريخ، مكتبة المتنبي، بغداد، د.ت.
١٧. تاريخ ابن عساكر، مطبعة روضة الشام، دمشق ١٣٣٢هـ.
١٨. تاريخ أبي الفداء (مختصر في تاريخ البشر)، دار المعرفة، بيروت ــ د.ت
١٩. تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط٥، القاهرة ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م.

٢٠. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.
٢١. تاريخ الرسل والملوك، الطبري، دار المعارف، مصر، د.ت.
٢٢. تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار، أبو محمد بن حبان البتي (٢٥٤)هـ.
٢٣. تاريخ الكتاب الكبير، البخاري، ت ٢٥٦هـ، بيروت لبنان ـــ د.ت تحقيق بوران الضناوي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٢٤. تاريخ اليعقوبي ...
٢٥. تاريخ بغداد، ابن الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي بيروت، د.ت.
٢٦. تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٥.
٢٧. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (٥٧١) تحقيق، علي شيري، دار العلم، ١٤١٥هـ.
٢٨. تحق العقول عن آل الرسول، المكتبة الحيدرية، النجف. د.ت.
٢٩. الترغيب والترهيب، المنذري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٨.
٣٠. تعليقات (ملاحظات)، السيد محمد باقر الخرسان، منشورات، دار لبنان النجف ١٩٦٦م.
٣١. تقريب التهذيب، العسقلاني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، د.ت.
٣٢. التمهيد والبيان في مقتل عثمان، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤م.
٣٣. تنقيح المقال في أحوال الرجال، المامقاني/طهران إيران، د.ت.
٣٤. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (٦٥٤ ـــ ٧٤٢هـ) تحقيق الدكتور بشار عواد المعروف /مؤسسة الرسالة ـ لبنان ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
٣٥. الثقات، محمد بن حبّان، تحقيق أشرف الدين أحمد، قرص.
٣٦. ثلاث نساء في سماء العقيدة، محمد بحر العلوم، طبعة النجف الأشرف، د.ت.
٣٧. الجزية وأحكامها، علي أكبر كلانتري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ د.ت.
٣٨. الجمل، ضامن بن شد قم المدني ١٠٨٢هـ، تحقيق تحسين آل شبيب الموسوي، قرص.

٣٩. جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت المكتبة العلمية، بيروت. د.ت.
٤٠. الحدائق الناضرة، المحقق يوسف البحراني، دار الكتب الإسلامية، النجف الأشرف، ١٣٧٨هـ.
٤١. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٨هـ.
٤٢. حياة الحيوان الكبرى، الديميري، مطبعة السعادة، مصر ١٣٣٠هـ.
٤٣. حياة الصحابة، محمد بن يوسف الكاندهلوي، تحقيق، دار العلم، دمشق ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٣م.
٤٤. الخرائج والجرائج، قطب الدين الراوندي، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، د.ت.
٤٥. الخصال، الشيخ الصدوق، المطبعة الحيدرية/ نجف ١٩٧١.
٤٦. الخلاف، الشيخ الطوسي، تحقيق علي الخراساني، جواد الشهرستاني، مهدي نجف، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٧١.
٤٧. دراسات في الحديث والمحدثين، هاشم معروف الحسيني، دار التعارف، بيروت د.ت.
٤٨. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، علي خان الشيرازي، تقديم محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٢.
٤٩. رجال الكشي، الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠) تحقيق محمد تقي فاضل السيد أبو الفضل الموسيان ـ طهران ١٣٨٢.
٥٠. رجال حول الرسول، خالد محمد خالد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣
٥١. سر العاملين في كشف ما في الدارين، أبو حاد الغزالي، ضبط وتعليق موفق الجبر، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٤هـ.
٥٢. السنن الكبرى، البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٤هـ.
٥٣. شرح أصول الكافي، المازندراني، دار إحياء التراث العربي بيروت ٢٠٠٠.
٥٤. شرح نهج البلاغة الأخبار من خطب نهج البلاغة.
٥٥. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ٦٥٦، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
٥٦. الصواعق المحرقة، لابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠.

٥٧. الضعفاء الصغير، البخاري، تحقيق محمد إبراهيم زاير، دار الوعي حلب ١٣٩٦هـ.
٥٨. الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.
٥٩. العقد الفريد، ابن عبد ربه، شرحه وضبطه وصححه أحمد أمين دار الكتاب الربي، بيروت ١٩٦٥.
٦٠. الفتن بعد الرسول (ص)، منذر جواد مرزة، مطبعة الغري النجف، ٢٠٠٦٠.
٦١. الفتنة الكبرى، طه حسين، دار المعارف، مصر، د.ت.
٦٢. فتوح مصر وأخبارها، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩١م.
٦٣. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الوسيلة، بيروت ١٤١٣هـ.
٦٤. مجالس المؤمنين، نور الله شوشتري، فارسي، طهران، د.ت.
٦٥. مراقد المعارف، محمد حرز الدين، مطبعة الآداب، النجف الأشرف ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.
٦٦. مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، دار العلم للملايين بيروت لبنان د.ت.
٦٧. مستدركات على الصحيحين للحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ) تحقيق يوسف المرعشي، دار المعرفة بيروت ١٤٠٦هـ.
٦٨. مسند ابن الجعد، أبو الحسن علي بن الجعد الجوهري، دار الكتب العلمية/ بيروت ١٩١٧هـ.
٦٩. مصنفات الشيخ المفيد، محمد بن نعمان الكعبري، قم ١٤١٣هـ.
٧٠. المطالب العالية، ابن حجر، دار العاصمة، السعودية د.ت.
٧١. معجم الصحابة، ابن قانع البغدادي، تحقيق حمدي الدمرداش، دار الفكر، بيروت ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.
٧٢. معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، منشورات مكتبة الكوثر، ١٤١٣هأ ـ ١٩٩٢م.
٧٣. المغازي، البخاري، المعارف، القاهرة، مصر د.ت
٧٤. مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون.
٧٥. مكاتب الأئمة، علي الأحمدي الميحاني، تحقيق مجتبى الفرجي، مؤسسة النشر، د.ت.
٧٦. الملل والنحل، الشهرستاني.

٧٧. المناقب، الخوارزمي (٥٦٨)هـ تحقيق مالك المحمودي، مؤسسة النشر الإسلام، قم ١٤١١هـ.
٧٨. المنجد في الإعلام، لويس معروف، بيروت لبنان ١٩٧٦.
٧٩. مواقف الشيعة، علي الأحمدي الميانجي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران ١٣٨٥هـ.
٨٠. النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، أبو المحاسن يوسف بن تغري الاتابكي، تقديم محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م
٨١. النزاع والتخاصم، البتريزي، تحقيق على عاشور قرص.
٨٢. نهاية الأرب، النويري، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م.
٨٣. نهج البلاغة، خطب الإمام علي، تحقيق محمد عبده، دار المعرفة بيروت.د.ت
٨٤. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، الشيخ محمد باقر المحمودي، دار التعارف بيروت، ط١، ١٣٩٦هـ.
٨٥. وعاظ السلاطين، د. علي الوردي.
٨٦. وقعة صفين، ابن مزاحم المنقري (٢١٢هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون المؤسسة العربية، ط٢، ١٣٨٣.
٨٧. ولاة مصر، محمد بن يوسف الكندي، تحقيق الدكتور حسين نصار، دار صادر بيروت، د.ت.
٨٨. الولاة والقضاة، الكندي، دار صادر، بيروت، د.ت.
٨٩. مواقع على الانترنت الموسوعة الحرة wikipedia.org

الفهرست

مقدمة قسم الشؤون الفكرية والثقافية ١١
المقدمة ١٣

الفصل الأول ١٥
المبحث الأول: اسمه وولادته ١٧
.....
نشأته ١٩
.....
صفاته ٢١
.....
أمه ٢٢
.....
المبحث الثاني: علاقته بأخته عائشة ٣٢
.....
موقفه من والده ٣٨
.....
الفصل الثاني ٤٣
المبحث الأول: الثورة على عثمان ودور محمد فيها ٤٥
.....
خروج محمد بن أبي بكر إلى مصر ٥٤
.....
محمد بن أبي بكر ومقتل عثمان ٥٨
.....
المبحث الثاني: ولايته على مصر ٦٤
.....
استشهاده ٦٩
.....
خبر مقتل محمد بن أبي بكر ٧٦
أثره على أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام ٧٦
.....
أثره على عائشة ٧٧
.....
٧٩

الفصل الثالث .....
المبحث الأول: أخباره ٨١
.....
مرقده ٨٦
.....
ما قيل فيه ٨٧
.....
المبحث الثاني: الخطب والمراسلات والكتب ٩١
.....
المصادر والمراجع ١١٣
.....